وورد على أبى العباس أبو جعفر منصرفا من خراسان فى جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان وجهه إليها لأخذ البيعة على أبى مسلم وأصحابه فأخذها ورجع .

وكان أبو العباس همّ بأبى سلمة فقال له داود بن على لا آمن عليك أبا مسلم إن فعلت أن يستوحش، ولكن اكتب إليه فعرفه ما كان من أبى سلمة فكتب أبو العباس إلى أبى مسلم يعلمه ما كان من أمر أبى سلمة فى الكتاب إلى من كتب إليه من ولد على وما كان أجمعه من صرف الدعوة إليهم فوجه أبو مسلم بالمرار بن أنس الضبي لقتل أبى سلمة ، فلما وافاه أمر ابو العباس قبل قتله بثلاثة أيام مناديا ينادى بالكوفة ان أمير المؤمنين قد رضى عن أبى سلمة ثم دعاه قبل مقتله بيوم فخلع عليه

وكان يسمر عنده فخرج ليلته تلك يريد الانصراف إلى منزله ، وقد كمن له ابن أنس وأسيد بن عبد الله فقتلاه وأغلقت أبواب المدينة ، فقيل لأبى العباس إن أبا سلمة قتله الخوارج فقال لليدين وللفم ، وقتل فى رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة

وقلد أبو العباس عمارة بن حمزة بن ميمون من ولد أبى لبابة مولى عبد الله ابن العباس ضياع مروان وآل مروان ، وكان عمارة سخيا سريا جليل القدر رفيع النفس كثير المحاسن .

وكان أبو العباس يعرف عمارة بن حمزة بالكبر وعلو القدر وشدة التنزّه ، فجرى بين أبى العباس وبين سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومية زوجته يوما كلام فاخرته فيه باهلها، فقال لها أبو العباس أنا أحضرك الساعة على غير أهبة مولى من موالىّ ليس فى أهلك مثله ثم أمر باحضار عمارة بن حمزة على الحال التى يكون عليها ، فأتاه الرسول فى الحضور فاجتهد فى تغيير زيه فلم يدعه فجاء به إلى ابى العباس وأم سلمة خلف الستر واذا عمارة فى ثياب ممسكة قد لطخ لحيته بالغالية

حتى قامت واستتر شعره ، فقال يا أمير المؤمنين ما كنت أحب أن ترانى على مثل هذه الحال ، فرُمى إليه بمدهن كان بين يديه فيه غالية ، فقال يا أمير المؤمنين أترى لها من لحيتى موضعا ؟ وأخرجت إليه أمّ سلمة عقداً كان لها قيمته جليلة وقالت للخادم تعلمه أنى أهديته إليه فأخذه عمارة بيده وشكر أبا العباس ووضعه بين يديه ونهض ، فقالت أم سلمة لأبى العباس إنما نسيه فقال أبو العباس للخادم الحقه به وقل له هذا لك فلم خلفته؟ فأتبعه الخادم ، فلما أدى اليه الرسالة قال له إن كنت صادقا فهو لك ، وانصرف الخادم بالعقد وعرّف أبا العباس بما جرى وامتنع من رده على أم سلمة ، وقال لها قد وهبه لى ، فلم تزل إلى أن اشترته منه بعشرة آلاف دينار .

وكان عمارة بن حمزة يقول يخبز فى دارى كل يوم ألفا رغيف يؤكل منها ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون رغيفا حلالا ، وآكل رغيفا واحدا حراما وأستغفر الله ، وكان يقول ما أعجب قول الناس فلان رب الدار ! إنما هو كلب الدار !

وكان الماء زاد فى أيام الرشيد وكان الرشيد غائبا فى بعض متصيداته ويحيى ابن خالد مقيم ببغداد ، فركب يحيى ومعه القواد ليفرقهم على المواضع المخوفة من الماء يحفظونها ، ففرق القواد وأمر بأحكام المسنّيات وصار إلى الدور فوقف ينظر إلى قوة الماء وكثرته ، فقال قوم ما رأينا مثل هذا المد ، فقال يحيى بن خالد قد رأيت مثله فى سنة من السنين ، كان ابو العباس قد وجهنى فيها إلى عمارة بن حمزة فى أمر رجل كان يعنى به من أهل خراسان وكانت له ضياع بالرى فورد عليه كتابه يعلمه ان ضياعه تُحُيِّفت تخربت ، وأن نعمته قد نقصت ، وأن حاله قد تغيرت وأن صلاح أمره فى تأخيره بخراجه لسنة وكان مبلغه مائتى ألف درهم ليتقوى بها على عمارة ضيعته ، ويؤديه فى السنة المستقبلة فلما قرأ الكتاب غمه ، وبلغ منه وكان بعقب ما ألزمه ابو جعفر من المال الذى خرج عليه تخرج به عن كل ما تملكه واستعان بجميع إخوانه فيه ، فقال لى يابنى من هاهنا يفزع إليه فى

أمر هذا الرجل، فقلت لا ادرى فقال لى عمارة بن حمزة ، فصر إليه وعرفه حال الرجل فصرت إليه وقد مدت دجلة ، وكان ينزل الجانب الغربى، فدخلت عليه وهو مضطجع على فراشه ، فأعلمته ذلك، فقال قف لى غدا بباب الجسر ، ولم يزد على ذلك فنهضت ثقيل الرجلين ، وعدت إلى ابى العباس بالخبر فقال يابنى تلك سجيته فاذا أصبحت فاغد لموعده، فغدوت فوقفت بباب الجسر، وقد جاءت دجلة فى تلك الليلة بمدعجيب قطع الجسور، وانتظم الناس من الجانبين جميعا ينظرون إلى زيادة الماء ، فبينا أنا واقف أقبل زورق والموج يخفيه مرة ويظهره أخرى ، والناس يقولون غرق غرق ، نجا نجا ، حتى دنا من الشط فاذا عمارة بن حمزة وملاّح معه فى الزورق ، وقد خلف دوابه وغلمانه فى الموضع الذى ركب منه فلما رأيته نَبُل فى عينى وملأ صدرى ، فنزلت فغدوت إليه وقلت جعلت فداك فى مثل هذا اليوم ، وأخذت بيده ، فقال أكنت أعدك وأخلف يابن أخى ، اطلب لى برذونا أتكاراه ، فقلت له فاركب برذونى ، قال فأى شىء تركب ، قلت برذون الغلام ، فقال هات فقدمت إليه برذونى فركبه وركبت برذون غلامى ، وتوجه يريد أبا عبيد الله ، وهو إذ ذاك على الخراج ، والمهدى ببغداد خليفة للمنصور ، والمنصور فى بعض أسفاره ، قال فلما طلع على حاجب أبى عبيدالله دخل بين يديه إلى نصف الدار ودخلت معه ، فلما رآه أبو عبيد الله قام من مجلسه وأجلسه فيه وجلس بين يديه فأعلمه عمارة حال الرجل ، وسأله اسقاط خراجه وهو مائتا ألف درهم ، واسلافه من بيت المال مائتى ألف درهم يردها فى العام المقبل ، فقال أبو عبيد الله هذا لا يمكننى ، ولكنى أؤخره بخراجه إلى العام المقبل ، فقال لست أقبل غير ما سألت. فقال أبو عبيد الله فاقنع بدون هذا اتوجدنى السبيل إلى قضاء الحاجة ، فأبى عمارة ، وتلوم أبو عبيد الله قليلا ، فنهض عمارة فأخذ أبو عبيدالله بكمه ، وقال إنى أتحمل ذلك من مالى فعاد لمجلسه وكتب أبو عبيدالله إلى عامل الخراج باسقاط خراج الرجل لسنته والاحتساب به على ابى عبيد

الله وإسلافه مائتى ألف درهم ترتجع منه إلى العام المقبل ، فأخذت الكتاب وخرجنا، فقلت لو أقمت عند أخيك ولم تعبر فى هذا المد؟ فقال لست أجد بدا من العبور ، فصرت معه إلى الموضع ، ووقفت حتى عبر

وكان أبو الجهم بن عطية ينوب عن أبى مسلم بحضرة أبى العباس ويخافه ، فثقلت وطأة أبى مسلم على أبى العباس، وكثر خلافه إياه ورده لأمره ، فقال أبو العباس لأبى الجهم أكتب إليه وأشر إليه بالاستئذان فى القدوم علينا، لتجديد العهد بنا ، فكتب اليه أبو الجهم لذلك فقبل رأيه وكتب مستأذنا فمنعه أبو العباس وقال له خراسان لا تحتمل مفارقتك لها، وخروجك عنها وتركه شهرا ، ثم قال لأبى الجهم أعد الكتاب بمثل ذلك فأعاده، فكتب أبو مسلم مستأذنا فمنعه وأجابه إن خروج أمير المؤمنين إليك أسهل من الاذن لك ، واخلائك ما قد أصلحه الله بك ثم تركه شهرا وقال لأبى الجهم أعد الكتاب وأشر عليه بأن يذكر شدة شوقه ومحبته لمشاهدة نعمة الله عندنا وعنده فينا ، ففعل وكتب أبو مسلم بنحو ما كتب به أبو الجهم إليه، فأجابه ابو العباس بالاذن واستخلف أباصالح كامل بن مظفر على الخراج والدواوين وفرق أعمال الحرب على جماعة وقدم على ابى العباس فلقيه ثم استأذن فى الحج فأذن له

وكان أبو العباس شكا إلى خالد وهو يتقلد دواوينه اهتمامه بهيبة الجند أبا مسلم ، فأشار عليه ان يأمر بعرضهم واسقاط من لم يكن من اهل خراسان منهم ففعل ذلك ، فجلس ابو مسلم للعرض فأسقط فى أول يوم بشرا كثيراً ثم جلس فى اليوم الثانى فأسقط ايضا بشراً كثيراً ثم جلس فى اليوم الثالث فدعا بالناس فلم يقم احد، فدعا ثانية فلم يقم احد ، فدعا ثالثة فلم يقم احد ، فقام إليه رجل فقال علام تسقط الناس ايها الرجل منذ ثلاث؟ فقال اسقط من لم يكن من اهل خراسان قال فابدأ بنفسك، فانك من اهل اصبهان، وقد دخلت فى اهل خراسان! فوثب ابو مسلم عن مجلسه، وقال هذا أمرٌ أُحكم ببابل، حسبك من شر سماعه! وفطن لما أريد

به ؛ وبلغ الخبر أبا العباس فسره

وكان داود بن على يتقلد الكوفة وأعمالها ، فدفع طريح بن اسماعيل إلى كاتبه رقعة إلى داود فى حاجة له إليه متقاضيا لها ، وقل له هذه حاجتك مع حاجة فلان من الأشراف فقال :

تخلّ بحاجتى واشدد قواها — فقد أمست بمنزلة الضياع
إذا راضعتها بلبان أخرى — أضرّ بها مشاركة الرّضاع
ودونك فاغتنم شكرى وشعرى — وإياكم مكاشفة القناع

ففأرد رقعته وقضى حاجته .

أيام المنصور

وكان يكتب لأبى جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلى من أهل حرّان

وكان كاتبا متقدما فجلس فى يوم من أيام عطلته بحران ، ويحيى بن نُرملة الصفْرى ، وعبيد الله بن النعمان مولى ثقيف ورجلان آخران تحت شجرة تين وذلك بعد انقضاء أمر بنى أمية ، ومصير الأمر إلى بنى العباس ، فقالوا لو أصبنا رجلا له سلطان انقطعنا إليه ، وكنا فى خدمته يرزقنا رزقا نعود به على عيالنا ! فقال بعضهم عسى الله عز وجل أن يسبب ذلك لنا أو لبعضنا ، فيفضل علينا فتوافقوا بينهم ألاّ يصيب رجلٌ منهم سلطانا إلا آسى أصحابه

وطلب المنصور كاتبا فوصف له عبد الملك بن حميد فأمر بإحضاره فأحضر ، فقلده كتابته ودواوينه ، وتذكر عبد الملك أصحابه فأحضرهم وقلدهم الأعمال فأثروا وحسنت أحوالهم ، وكانوا إذ ذاك يعرفون بأصحاب التينة وهو الذى أمره أبو جعفر ، وقد أنشد أبو دلامة أبياته التى يقول فيها :

هبّت تعاتبنى من بعد رقدتها — أمُّ الدّلامة لما هاجها الجزع

قالت تبغَّ لنا نخلا ومُزْدرعا كما لجيراننا نخل ومزدرع
خادع خليفتنا عنها بمسألة إن الخليفة للسوّال ينخدع

أن يقطعه خمسمائة جريب عامرة وخمسمائة جريب غامرة، فقال أبو دلامة أما العامر فقد عرفته ، فما الغامر ؟ فقال الذى لايدركه الماء ، ولا يسقى إلا بالمؤونة والكلفة ، فقال أبو دلامة فاشهد يا أمير المؤمنين ومن حضر أنى قد أقطعت عبد الملك بن حميد بادية بنى أسد كلها ! فضحك المنصور ، وقال اجعلها ياعبدالملك عامرة كلها ، فقال أبودلامة لأبى جعفر أتأذن لى فى تقبيل يدك ؟ فلم يفعل ومنعه فقال ما منعنى شيئا هو أقل على عيالى ضررا من هذا !

وكانت لعبد الملك بن حميد منزلة من أبى جعفر خاصية عنده ، وكان عبد الملك ربما تثاقل عنه وتقالل عليه ، فاستثقل المنصور ذلك منه مع استصلاحه له وسكونه اليه ، وأمره باتخاذ من ينوب عنه إذا غاب عن حضرته ، فاتخذ أباأيوب المورياني وهو فتى حدث من قرية من قرى الأهواز ، يقال لها الموريان ، واسمه سليمان بن مخلد ويكنى مخلد أبا سليمان

وكان خفيفا ظريفا على القلب متأتياً لما يريده منه أبو جعفر ، وقد كان أخذ من كل شىء طرفا ، وكان يقول ليس من شىء إلا وقد نظرت فيه إلا الفقه فلم أنظر فيه قط ، وقد نظرت فى الكيمياء والطب والنجوم والحساب والسحر

وكانت له بأبى جعفر حرمة رعاها له تخف على قلبه ، واعتل عبد الملك من نقرس كان به فلزم منزله ، فلم يزل أمر أبى أيوب يعلو ، ومحله من رأى أبى جعفر يزيد حتى قلده وزارته وفوض إليه أمره كله

وكان له أخ يقال له خالد وابنا أخ يقال لهما مخلد ومسعود ، وكانا ظريفين جميلين ، فنالا من الدنيا و نعيمها حظا جسيما ، وقلد المنصور أبا أيوب الدواوين مع الوزارة وغلب عليه غلبة شديدة وصرَّف أهله جميعا فى الأعمال ، حتى قالت العامة إنه قد سحر أبا جعفر ، واتخذ دهنا يمسحه على وجهه إذا أراد الدخول عليه

وضربت المثل بدهن أبى أيوب، وبلغ من خصيصاء أبى أيوب بأبى جعفر أن لم سلمة بن الطلحية اتخذت لأبى جعفر مجلسا فى الصيف وجعلت فيه الرياحين والثلج وسائر الطيب ؛ فلما صار اليها أعجب ببرده وحسنه ؛ ثم قال لها ما أنتفع بما أنا فيه، قالت ولم يا أمير المؤمنين؟ قال إنه ليس معى أبو أيوب ، فيحدثنى ويؤنسنى ، قالت يا أمير المؤمنين إنما هيأته لسرورك فتبعث إليه ؛ فبعث إليه فحضر فقال له يا أبا أيوب كما رأيت طيب هذا الموضع ولذته لم أنتفع به حتى تكون معى فيه. فدعا له وأقام معه

والذى كان بين أبى أيوب وبين أبى جعفر حتى رعاه له ، ولما استخلفه عبد الملك بن حميد غلب عليه أنه لما غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فى أيام مروان على أصبهان وبعض فارس ، وبعض الأهواز ؛ وفد إليه الهاشميون أجمعون من بنى على رضوان الله عليه ومن بنى العباس وغيرهما فاستعان بهم فى أعماله

وقلد أبا جعفر المنصور كورة أيذَجَ فأخذ أبو جعفر المال ، وحمله بسفاتج على يد عبد الرحمن بن عمر إلى البصرة، ولم يحمل إلى ابن معاوية شيئا ثم صار أبو جعفر إلى الأهواز قاصدا البصرة ؛ وكان سليمان بن حبيب بن المهلب عليها من قبل مروان قد وضع الأرصاد على كل من يمر من عمال ابن معاوية ، فمر برصده ابو جعفر فأخذ وأتى به سليمان بن حبيب .

وكان أبو أيوب المورياني يكتب له؛ فقال له لما دخل عليه هات المال الذى اختنته ، فقال لا مال عندى ؛ فدعا له بالسياط فقال أبو أيوب أيها الأمير توقف عن ضربه ، فان الخلافة إن بقيت فى بنى أمية ، فلن يسوغ لك ضرب رجل من بنى عبد مناف ، وإن صار الملك إلى بنى هاشم لم تكن لك بلاد الاسلام بلادا ؛ فلم يقبل منه وضرب أبا جعفر اثنين وأربعين سوطا ؛ فلما اتصل ضربه إياه قام إليه أبو ايوب وألقى نفسه عليه ، ولم يزل يسأله حتى امسك عن

ضربه وأمر بحبسه فتحركت المضرية لضرب أبى جعفر وحبسه وتجمعوا وصاروا إلى الحبس فكسروه وأطلقوا أبا جعفر

وخرج ابو جعفر حتى قدم البصرة ، فدعا لأبى أيوب ما كان منه ، وكان يتذكره ويشكره ، ولم يزل أبو أيوب بالأهواز إلى أن ظهر أمر بنى العباس ، وكان يكتب لسليمان بن حبيب فى أيام مروان على الخراج ماجُسَاس[1] بن بهرام بن مردانشاه بن زاذانفروخ الأعور كاتب عبد الله بن زياد

وكان زاذنفروخ من أحفظ رجل ، وكان غالبا على عبد الله بن زياد ، وذكر آل زياد أن الحريق وقع فى الديوان بالبصرة ، فاحترق بأسره ، وبالبصرة يومئذ من المقاتلة والذرية ثمانون ألفاً فكتبهم زاذانفروخ عن ظهر قلب جميعا ، لم يغلط بأحد إلا بامرأة من بنى سُليم أُنَيسَى اسمها

وكان ابو جعفر لما صرف خالد بن برمك عن الديوان وقلده ابا ايوب قلد خالدا فارس ، فأقام بها خالد سنين وابو ايوب يسعى عليه ويحض ابا جعفر على مكروهه ويسعى به ليسقطه من عينه ، لأنه كان يعرف ما فيه من الفضل ويتخوفه على محله وان يرده ابو جعفر إلى الديوان الذى كان يتقلده ، فلما كثر ذلك على ابى جعفر صرف خالدا عن فارس ونكبه وألزمه ثلاثة آلاف الف درهم ، ولم يكن عنده إلا سبعمائة ألف درهم فصدقه عن ذلك فلم يصدقه ، وأمر بمطالبته بالمال فأسعفه صالح صاحب المصلى بخمسين ألف دينار ، واسعفه مبارك التركى بألف ألف درهم ووجهت الخيزران بجوهر قيمته ألف ألف درهم ومائتا ألف درهم رعاية للرضاع بين الفضل ابنه وبين هرون ابنها ، واتصل ذلك بابى جعفر فتحقق عنده قوله انه لا يملك إلا ما حكى ، فصفح له عن المال فشق ذلك على ابى أيوب ، واحضر بعض الجهابذة ودفع إليه مالا ، وامره ان يعترف انه لخالد ودس إلى ابى جعفر من سعى بالمال ، فأحضر الجهبذ فسأل عن المال ، فاعترف به ، فأحضر خالدا فسأله عن ذلك

---

1) هكذا بالاصل ويحتمل ان يقرأ ماجسيس على اننى ارجح انه ماجشنس والفرس تسمى به

فحلف بالله انه لم يجمع مالا قط ولا ادخره ، ولا يعرف هذا الجهبذ ، ودعا إلى كشف الحال ، فتركه ابو جعفر بحضرته ، واحضر النصرانى فقال له اتعرف خالدا إن رأيته ؟ قال نعم يا امير المؤمنين اعرفه ان رأيته ، فالتفت الى خالد وقال قد اظهر الله براءتك ، وهذا مال اصبناه بسببك ثم قال للنصرانى هذا الجالس خالد فكيف لم تعرفه ! قال الأمان ياامير المؤمنين ، واخبره الخبر فكان لا يقبل من أبى ايوب بعد ذلك شيئا فى خالد

ولما بنى ابوجعفر مدينة السلام قسمها ارباعا فجعل الربع منها إلى ابى ايوب وزيره والربع الثانى إلى عبد الملك بن حميد كاتبه ، ولعبد الملك قطيعة وربض يعرف بعبد الملك بن حميد فى الجانب الغربى والربعين الآخرين الى الربيع ، والى سليمان بن مجالد ، ونقل إليها الخزائن والدواوين وبيوت الأموال فى سنة ست واربعين ومائة

وكان لأبى أيوب كاتب يقال له محمد بن الوليد مولى لهشام بن عبد الملك او لمروان بن محمد ، وكان خاصا به غالبا عليه ، وكان ابو جعفر ولى طريفا مولاه بريد مصر والشأم والجزيرة

وكان محمد بن الوليد شرها حريصا على أخذ الرشا ، فكتب إلى طريف على لسان أبى أيوب يحمل مائة ألف دينار إليه فحملها ولم يعلم أبو أيوب بها

وكان لأبى جعفر مولى يقال له مطر كان أبو أيوب ابتاعه من حميد الصيرفى وأهداه إليه فأعتقه أبو جعفر ، فكان أبو أيوب يعنى به فأشار على أبى جعفر بصرف طريف وتقليد مطر ففعل ذلك ، وأمره بمحاسبة طريف فحاسبه وضيق عليه فأحفظه ذلك على أبى أيوب من جهة ما قد كان حمله ، وعنده أنه قد وصل إلى أبى أيوب ، ومن عنايته بمطر

فلما صار إلى أبى جعفر أخرج الكتاب الذى كان قد كتبه إليه محمد بن الوليد عن أبى أيوب فدفعه إليه ، فلما وقف عليه دفعه إلى أبى أيوب ، فقال له هذا

خط كاتبى وخاتمى ولا علم لى بشىء من أمره ، فقال له أبو جعفر هذا أشد الأمرين أن تكون مائة ألف دينار تؤخذ ولا يعلم علمها ، ثم خرج من حضرته ودعا محمد بن الوليد فسأله فقال نعم هذا كتابى وأنت أمرتنى به وكابره وبهته وكره أبو أيوب مراجعته لئلا يسعى به فوكل به . وحبسه وحظر عليه أن يصل إليه أحد ينقل عنه أو ينقل إليه شيئا لئلا يسعى به

وكان أبو جعفر خارجا إلى قرميسين[1] فلما خرج عن الكوفة ونزل حمام عمر قال له أبو أيوب إن كاتبى هذا قد جنى هذه الجناية ، وهو مولى لبنى أمية ولست أثق به وقد أقدم على ما أقدم عليه . فقال له اقتل ابن الخبيثة . فدعا أبو أيوب بالمُسَوَّر البربرى ، فقال له انطلق ، فاقتل محمد بن الوليد

فلما قدم المسور ودعا بمحمد قال له يامسور خذ هذا القرطاس فأعطه أمير المؤمنين ، فإنه إن وقف عليه قلدك مكان أبى أيوب ، فقال له يا ابن الخبيثة أتأمرنى أن أدفع على أبى أيوب ، فأخذ القرطاس منه وضرب عنقه وصار بالقرطاس إلى أبى أيوب فوجد فيه كل عظيمة من أمره ، فتتبع أموال محمد بن الوليد حتى أدى منها إلى أبى جعفر مائة ألف دينار ، ووقر ذلك عليه فى نفس أبى جعفر

وكان حبيب بن عبد الله بن رَغْبان مولى حبيب بن سلمة الفهرى يتقلد الإعطاء لأبى جعفر ، وإليه ينسب مسجد ابن رغبان بمدينة السلام ، ومن ولده الشاعر المعروف بديك الجن ، وله أشعار مختارة ، ومن جيدها قصيدته فى إبراهيم بن مدبر الكاتب ، وهى التى يقول فيها

ما المطايا إلا المنايا وما فرَّق شىء تفريقها الأحبابا

ودخل على أبى جعفر حبيب بن عبد الله بن رغبان الكاتب يوما فى شهر رمضان ، فقال له أتعطش يابن رغبان؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال ماسحورك؟

---

١) فى ف قرمسين والتصحيح عن ياقوت وهى تعريب كرمان شاهان بلد قريب من همذان والدينور

قال فرخ أو دجاجة أو لحم بارد من طبيخ أو شواء ، قال هـذا الذى يعطشك فتسحر بما يتسحر به أمير المؤمنين ، انظر إلى كعكات من هذا الكعك الشامى فاجعله فى قدح واغمره بالماء من أول الليل ، فاذا كان فى السحر تجده قد ماث فاشربه ، فانه طعام يعصم وشراب يُرْوِى .

قال أبو العباس ثعلب حدثنى محمد بن سلاّم الجمحى قال حدثنا خلاد بن يزيد قال كنا يوما جلوسا عند أبى أيوب فى مجلسه فأتاه رسول أبى جعفر فامتقع لونه وتغير ومضى إليه ، ثم رجع فقال بعض أصحابه فى ذلك ، فقال سأضرب لكم مثلا تقوله العامة ، وهو أن البازى قال للديك ما شىء أقل وفاء منك؟ لأن أهلك أخذوك فى بيضة فحضنوك ، وخرجت على أيديهم فأطعموك فى أكفهم ، ونشأت بينهم حتى إذا كبرت جعلت لا يدنو واحد منهم منك إلا طرت يمنة ويسرة وصحت وصوّتّ ، وأنا اخذت من الجبال كبيرا فعلمونى وألفونى ، ثم يخلّون عنى فآخذ صيدى وأجىء إلى صاحبى ، فقال له الديك لو رأيتَ فى سفافيدهم من البزاة مثل الذى رأيتُ فيها من الديكة كنت شرا منى ، ولكنكم لو كنتم تعلمون ما أعلمه ، لم تتعجبوا من خوفى مع ماترون من تمكنى .

ولما خالف عبد الله بن على على أبى جعفر ، وادعى الخلافة لنفسه أنفذ ابو جعفر أبا مسلم لقتاله ، فتلقاه عبد الصمد بن على بالموصل ، فكان اول قتيل قتل بينهما أبو غالب كاتب عبد الله بن على فاستدل بذلك على من جهة الفأل على انحلال أمره ، فلما هرب عبد الله منهزما من ابى مسلم وقصد اخويه سليمان وعيسى وهما بالبصرة ، دخلها مستترا ، وكاتب سليمان وعيسى أبا جعفر فى أن يؤمنه ، فأنفذ سليمان كاتبه عمر بن أبى حايمة فى ذلك ، واستقر الأمر على اعطائه الأمان ، فأنفذ أبو جعفر سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب وأمر بضغطهم ، والتضييق عليهم حتى يشخصوا بعبد الله بن على إلى حضرته

وكان ابن المقفع يكتب لعيسى بن على ، فأمره عيسى بعمل نسخة للأمان

لعبد الله فعملها ووكدها ، واحترس من كل تأويل يجوز أن يقع عليه نيها وترددت بين أبي جعفر وبينهم في النسخة كتب إلى أن استقرت على ما أرادوا من الاحتياط ، ولم يتهيأ لأبي جعفر إيقاع حيلته فيها لفرط احتياط ابن المقفع

وكان الذى شق على أبي جعفر أن قال في النسخة يوقع بخطه في اسفل الأمان ، وإن انا نلت عبدالله بن على او واحدا ممن اقدمه معه بصغير من المكروه او كبير ، او اوصلت إلى احد منهم ضررا سراً أو علانية على الوجوه والأسباب كلها تصريحا او كناية او بحيلة من الحيل ، فأنا نفيٌّ من محمد بن على بن عبد الله مولود لغير رِشْدة [1] وقد حل لجميع أُمة محمد خلعى وحربى والبراءة منى ، ولا بيعة لى فى رقاب المسلمين ، ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتى وإعانة من ناوأنى من جميع الخلق ، ولا موالاة بينى وبين احد من المسلمين ، وهو ومتبرىءٌ من الحول والقوة ، ومدع ان كان أنه كافر بجميع الأديان ، ولقى ربه على غير دين ولا شريعة ، محرَّمٌ المأكل والمشرب والمناكح والمركب ، والرق والملك والملبس ، على الوجوه والأسباب كلها ، وكتبت بخطى ولا نية لى سواه ، ولا يقبل الله منى إلا إياه والوفاء به.

فقال ابو جعفر إذا وقعت عينى عليه ، فهذا الأمان له صحيح لأنى لا آمن أن اعطيه إياه قبل رؤيتى له ، فيسير فى البلاد ويسعى على بالفساد ، وتهيأت له الحيلة عليه من هذه الجهة ، فقال من يكتب له هذا الأمان ؟ فقيل ابن المقفع كاتب عيسى بن على ، فقال أبو جعفر فما أحد يكفينيه

وكان سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب يضطغن على ابن المقفع أشياء كثيرة ، منها أنه كان يهزأ به ، ويسأله عن الشيء بعد الشيء ، فاذا أجاب قال له أخطأت ويضحك ، فلما كثر ذلك على سفيان غضب فافترى عليه ، وقال له ابن المقفع يابن المغتلمة والله ما اكتفت أمك برجال أهل العراق ، حتى تعدتهم إلى

---

١) يقال فلان لغير رشدة أى ولد زنا

أهل الشأم ، وكانت أم سفيان بن معاوية ميسور بنت المغيرة بن المهلب ، وكان تزوجها القاسم بن عبد الرحمن بن عطاء الأشعرى

ومنها أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز كان استعمل سفيان بن معاوية على نيسابور ، وكان عليها قبله المسيح بن الحوارى ، وكان ابن المقفع يكتب للمسيح ، ولما قرب سفيان من المسيح أرسل إليه المسيح إن شئت أعطيتك خمسمائة ألف درهم وتنصرف عنى ، وإن شئت اعطى خمسمائة ألف أخلّيك والعمل ، فقال سفيان لا أعطيك شيئا ولا أقبل منك شيئا ، فسفر بينهما ابن المقفع ، واحتال على سفيان ودافعه وعلاه حتى استعد المسيح ، وكاتب الاكراد وجميع أطرافه وقوى أمره ، فلما استظهر امتنع على سفيان وقال له انصرف فليس لك عندى شيء ، فأبى سفيان أن ينصرف واقتتلا وضرب سفيان المسيح فأطار عمامته ولم يصل السيف إليه وضرب المسيح سفيان فكسر ترقوته وانهزم إلى دورق ، فحقد ذلك أيضا على ابن المقفع ، فلما قال أبو جعفر ما قال كتب به الخصيب إلى سفيان فعمل على قتله إذا أمكنه ذلك فقال عيسى بن على يوما لابن المقفع صر إلى سفيان فقل له كذا وكذا ، فقال له وجهمعى ابراهيم بن جبلة ابن مخرمة الكندى ، فانى لا آمن سفيان فقال كلا انطلق إليه ولا تخف فانه لم يكن ليعرض الك وهو يعلم مكانك منى ، فقال ابن المقفع لابراهيم بن جبلة انطلق بنا إلى سفيان نبلغه رسالة الامير ونسلم عليه ، فانى لم آته منذ قدمنا ، وأخاف ان يظن بى موجدة وعداوة ، فمضيا فجلسا على باب الديوان ، وجاء عمر بن جميل فجلس إليهما فخرج غلام لسفيان فنظر إليهم ثم رجع ثم عاد ، فسار عمر بن جميل وقال له يقول لك الامير ادخل الديوان فاجلس فيه ، فاذا انتصف النهار فمر بى فقام فدخل الديوان ، وجاء الاذن فأذن لابراهيم بن جبلة ، فدخل ثم خرج فأذن لابن المقفع فلما دخل عدل به إلى مقصورة اخرى فيها شبرويه الملاديسى وعتّاب المحمدى فأخذاه فشداه كتافا ، فقال ابراهيم لسفيان ائذن لابن المقفع ، فقال الآذن

أذن له فخرج الآذن ثم رجع ، فقال قد انصرف ، فقال سفيان لابراهيم هو أعظم كبرا من أن يقيم ، وقد أذنت لك قبله ولا أشك فى أنه قد غضب ثم قام سفيان وقال لابراهيم لا تبرح ودخل المقصورة التى فيها ابن المقفع ، فقال له لما رآه ابن المقفع قد وقعتَ والله ، فقال أنشدك الله ، فقال أمى مغتلمة كما ذكرت إن لم أقتلك قِتلة لم يقتل بها أحد قط ! وأمر بتنور فسجر ، ثم أمر بها فقطعا منه عضوا ثم ألقاه فى التنور وهو يراه ، فلم يزل يقطعه عضوا عضوا ويلقيه فى التنور وهو يراه إلى أن قطعه أعطياه ثم أحرقه وهو يقول والله يابن الزنديقة لأحرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخرة

فلما فرغ منه رجع إلى ابراهيم فحدثه ساعة ثم خرج ابراهيم فقال له غلام ابن المقفع ما فعل مولاى ؟ قال ما رأيته قال بلى قد دخل بعدك فقال ما رأيته ورام الرجوع إلى سفيان فحجبَ وانصرف

وانصرف معه غلام ابن المقفع وهو يصيح ويبكى ويقول قتل سفيان مولاى فدخل ابراهيم على عيسى بن على ، ومعه غلام ابن المقفع يبكى ، فقال عيسى لابراهيم ما هذا ؟ فخبره الخبر على جهته ، فقال له عيسى ارجع فقل له خل عن ابن المقفع إن لم يكن قتلته ، وإن كنت قتلته فوالله لأطلبنك بدمه ولا أدع جهدا ، فصار إلى سفيان وأعلمه ما قال عيسى ، فقال ما رأيته ودعا بعمر بن جميل من الديوان ، فقال عمر فدخلت عليه وهو متغير على خلاف ما كنت أعرف من انبساطه ، فقال لى ألا تعجب من ابن عمك يأتينى برسالة عيسى بكذا وكذا ، فقلت لا ذنب له فيما قال إنما ارسل برسالة فأداها ، فقال لى صدقت فما الرأى عندك ؟ قال فقلت ليس لمكذوب رأى ، ولا أدرى ما اشير به عليك إلا ان تصدقنى ، إن كنت تقدر على ابن المقفع فلى رأى ، وإن كنت لا تقدر عليه فلى رأى آخر ، فقال فانه لا يُرى ابدا ، فقلت فى نفسى أُحيمق بك لم تستطع ان تغيب على ، فتقول أشر على بالأمرين جميعا إن قدر عليه او لم يقدر عليه !

ثم قال له إن عيسى لا يقدر لك على مضرة هاهنا ، لأنك الوالى، ولكنه سيكلم أمير المؤمنين بالكوفة ، وليس احد[1] اخوف عليك من ابى ايوب سليمان بن ابى سليمان الكاتب ، فانه ان عاونه ضرك ، وإن كف عنك رجوت أن لا ينال عيسى منك ما يريد ، فاكتب إلى أبى موسى بن أبى الزرقاء تعلمه أن عيسى بن على اتهمك من أمر ابن المقفع بما لا علم لك به ، وتسأله أن يدفع [عنك] عند أمير المؤمنين ، وأكتب أنا أيضا إليه ، فقال نعم ما رأيت

وأمر [عيسى بن على] قوما فنادوا فى الطرق أن سفيان بن معاوية قتل ابن المقفع ، ووجه بنو على إلى المنجاب أبى بن عيينة ، ليرتهنوه بابن المقفع ، فمنعه سفيان من إتيانهم ، فصاروا إلى المنصور فكلمه عيسى فى ابن المقفع ، وقال قتله سفيان بن معاوية ، فأنفذ المنصور أبا الخصيب ، وقال له ائتنى بسفيان أو بابن المقفع ، وكتب إليه يابن أبى سفيان ، قد وجهت إليك بأبى الخصيب ابن وزقاء[1] فان كان ابن المقفع حياً فادفعه إليه ، واثبت على عملك . وإن لم تدفعه إليه ، فقد أمرته بعزلك وبحملك . فقال سفيان ما أقدر عليه

فقيده أبو الخصيب وحمله وخرج مع سفيان رجال من أهل بيته فأشار عليهم رجل أن يلقوا أبا أيوب ، فيكلموه كلاما خشنا يرهب معه منهم ، ويتخوف ناحيتهم ، وان لا يسرفوا عليه فيحفظوه ، ولا يضعفوا فى مخاطبته فيطمعوه ، ففعلوا ذلك ، وقال له سفيان أنا أعلم أنى إن سلمت فبك أسلم ، وإن عطبت فوالله إنى وأهل بيتى نعلم أنى بك عطبت وبرأيك أقتل ! فارتاع أبو أيوب ، وقال أنا ! قال نعم ، لأنك تقدر على أن تدفع عنى ، فقال لست أدع القيام بأمرك ، وقد ألقى إلىَّ موسى بن أبى الزرقاء طرفا من عذرك ، وكسر ذلك أبا أيوب عن نصرة عيسى ، وعيث من أمر سفيان ، ودفع عنه ، وأمسك عيسى عن الكلام فى أمر ابن المقفع ، وأطلق أبو جعفر سفيان ، وعاد رأيه له

---

١) فى ف ابن روقاء

وكان حماد عجرد مولى لبنى أسد بن عامر ، وكان نبيلا شاعرا من كتاب الرسائل ، وقد كتب ليحيى بن محمد بن صُولٌ بالمَوْصل ، ثم لعقبة بن سلم بالبحرين ، وكان صديقا لابن المقفع

فذكر حماد أن الذى قتل ابنَ المقفع ، أن أبا جعفر قال يوما لأبى أيوبَ وقد أنكر عليه شيئا — كأنك تحسب أنى لا اعرف موضع أَكْتَبِ الخلق ، وهو ابن المقفع . مولاى ؟ فلم يزل أبو ايوب خائفاً له ، يسعى ويدب فى امره حتى قتله

وكان ابن المقفع من اهل جُوْر[1] من فارس ، وكان سريًا سخياً ، يطعم الطعام ويتسع على كل من احتاج إليه ، وكان يكتب لداود بن عمر بن هبيرة على كِرْمان ، فأفاد معه مالا ، فكان يجرى على جماعة من وجوه اهل البصرة والكوفة بين الخمسمائة إلى الألفين فى كل شهر

وكانت بين ابن المقفع وبين عمارة بن حمزة مودّة ، فأنكر ابو جعفر على عمارة فى وقت من الأوقات شيئاً ونقله إلى الكوفة

وكان ابن المقفع إذ ذاك بها ، فكان يأتيه فيزوره ، فبينا هو ذات يوم عنده إذ ورد على عمارة كتاب وكيله بالبصرة ، يعلمه أن ضيعة مجاورة لضيعته تباع ، وان ضيعته لا تصلح إن ملكها غيره ، وان اهلها قد بذلوا له ثلاثين ألف درهم ، وانه إن لم يبتاعها فالوجه ان يبيع ضيعته

فقرأ عمارة الكتاب ، وقال ما اعجب هذا ، وكيلنا يشير علينا بالابتياع مع الإضاقة والاملاق ، ونحن إلى البيع احوج ! وكتب إلى وكيله ببيع ضيعته والانصراف إليه

وسمع ابن المقفع الكلام ، وانصرف إلى منزله واخذ سفتجة إلى الوكيل بثلاثين ألف درهم ، وكتب إليه على لسان عمارة إنى قد كنت كتبت إليك

---

١) جور مدينة نزهة طيبة بفارس ، والعجم تسميها كور

يبيع ضيعتى ، ثم حضرنى مال وقد انفذت اليك سفتجة ، فابتع الضيعة المجاورة لك ، ولا تبع ضيعتى ، وأقم مكانك وانفذ الكتاب بالابتياع إلىَّ

ووجه الكتاب إليه مع رسول قاصد ، فورد على الوكيل وقد باع الضيعة ، ففسخ البيع وابتاع الضيعة المجاورة ، وكتب إلى عمارة بذكر الأمر ، وانه قد صارت لك ضيعة نفيسة

فلما قرأ عمارة الكتاب اكثر التعجب ، ولم يعرف السبب ، وسأل عمن حضر عند ورود كتاب الوكيل ، فقيل له ابن المقفع ، فعلم أنه من فعله ، فلما صار إليه بعد أيام وتحدثا ، قال عمارة بعثت بتلك الثلاثين ألف درهم إلى الوكيل وكنا إليها هاهنا أحوج ، قال فإن عندنا فضلا ، وبعث إليه بثلاثين ألفاً أخرى

وحكى ان سفيان لما أمر بتقطيع ابن المقفع وطرحه فى التنور ، قال له والله لتقتلنى فتقتل بقتلى ألف نفس ، ولو قتل مائة مثلك ماوفوا بواحد ! ثم قال :

إذا ما ماتَ مثلى ماتَ شخصٌ يموتُ بموته خلق كثير[1]
وأنت تموتُ وحدكَ ليس يدرى بموتك لا الصغيرُ ولا الكبير

وكان غسان بن عبد الحميد كاتب سليمان بن على يقول لخادمه إذا قلت لك خَوِّض[2] لنا سويقا نخثره ، فان الرجل لا يستحيى ان يزداد ماء يرققه به ، ويستحيى أن يزداد سويقاً يخثره به .

ولما أقبل أبو مسلم من الدسكرة يريد المدائن وعمل أبو جعفر على قتله دعا أبا أيوب المُورِيانى ، فقال له ياسليمان شاور سَلْمَ بن قتيبة فى امره ، فشاوره ، فقال سلم أرى ان يتجاوزله ، ويصفح عن ذنبه

فأخبر ابو أيوب ابا جعفر بذلك ، فقال له ابو جعفر عاوِده ، واعلمه انى امرتك ان تشاوره ، فعاوده فأعلمه ذلك ، فقال له سلم : قل له لا يصلح سيفان فى غمد ، ثم تلا (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)

---

١) يروى يموت بموته بشر كثير ٢) يخوضه أى يخلطه ...

وكان مما خاطب به ابومسلم ابا جعفر فى كتاب كتبه إليه قبل ان يُجمِعَ الرجوعَ : إنا كنا نروى عن ملوك آل ساسان ، أن أخوف ما يكون الوزراء ما سكنت الدَّهماء ، فأنا نافر من قربك ، حريص على الوفاء بعهدك ، حرىٌّ بالسمع والطاعة لك ، غير أنها من بعيد ، حيث تقارنها السلامة ، فى كلام طويل

قال ابو ايوب ولما قرب ابو مسلم من المدائن دخلت على أبى جعفر بين العصر والمغرب ، وهو فى خباء شعر على مصلى ، وبين يديه كتاب من أبى مسلم فلما رآنى رمى بالكتاب إلىَّ : فقال لى اقرأه ياسليمان ، فقرأته ، ثم قال لى والله لئن ملأت عينى منه لأقتلنه ، فقلت فى نفسى إنا لله وإنا إليه راجعون ، طلبتُ الكتابة حتى بلغتُ غايتها ، وصرتُ كاتباً للخليفة وقع بين الناس هذا التخليط ! والله ما ارانا نسلم ، وما احسب اصحاب ابى مسلم يرضون إن قُتل ان يدعوا هذا على الأرض ، ولا أحداً من اسبابه

ثم انصرفت متفكرا ، وامتنع على النوم ليلتى تلك ، ثم خطر ببالى ان الرجل إن قدم آمنا كان اسهل لما يراد منه ، إن قدم نافراً مستوحشا .

فأحضرت سلمة بن سعيد بن جابر ، ووعدته ان اوليه كسكر ، واطمعته فى إحسان كثير ، وامرته ان يأتى ابا مسلم ، ويعرفه ان امير المؤمنين قد عزم ان يوليه ماوراء بابه ، ويريح نفسه ، ويتودّع ، وقلت له تسأله ان يجعل امرك مما يسأل فيه إذا لقيه ، فصار سلمة إلى ابى مسلم ، فعرفه ذلك فظنه حقا ، وقصر فى التحرز والتأهب ، واسترسل وورد غارا [1] فكان من امره ما كان

ولما قتل المنصور أبا مسلم دخل عليه أبو الجهم بن عطية ، فلما رآه مقتولا ، قال إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال أبو أيوب ، فخفت المنصور عليه ، فقلت له مالك يا أبا الجهم أشرت بقتله حين خاف ، حتى إذا قتل قلت هذه المقاله ! ؟ قال فنبهت رجلا عاقلا ، فتكلم بكلام أصلح ما جاء منه

---

١) الغار الغافل المنخدع بالباطل

وكان يتقلد لأبى جعفر بيت المال الفرجُ بن فضالة التنوخي ، وقد كان عمل لعبد الملك ، فسمعه رشيد الخادم يخطىء ابا جعفر فى قتل ابى مسلم ومعاجلته إياه ، فنقل كلامه إليه ، فتغيظ عليه ودعا به ، فسأله عن ذلك ، فأقر به فقال له كيف لم تخطئْ صاحبك فى قتله عمر بن سعيد معاجلا له : فقال لأنه قتل عمرا فى قصره بعد ان احاطت به جدرانه ، وأُغلقت دونه ابوابه ، وحوله اثنا عشر ألفا من عبيده ومواليه ، وقتلت انت ابا مسلم وانت فى خرق⁽¹⁾ من الارض ، وكل من حولك له ومنه واليه !

وطلب ابو جعفر الربيعَ يوما فلم يجده ، فلما دخل عليه سأله عن خبره ، فقال كنت عند سليمان الكاتب – يعنى ابا ايوب – فقال ومن رايت عنده ؟ قال عبد الله بن مروان بن محمد ، وقد طلب منه حاجة فقضاها ، وقام عبد الله فقبل رأسَ سليمان

وكان أبو جعفر متكئا فاستوى جالسا ، وقال ياربيع قبل عبد الله رأسَ سليمان ؟ فقال نعم ، فقال الحمد لله ، وخر ساجدا ، فأطال . ثم قال لى ياربيع أتدرى أى نعمة جدد الله عند امير المؤمنين فى هذا الوقت ؟ قال لا أعلم أسأل الله ان يجدد عنده النعم ويواليها ويزيد فيها وكشف عن ساقه ، فاذا فيها أثرٌ بينٌ ، ثم قال لى إنى بدمشق فى ايام مروان إذ رايت للناس حركة ، فقلت ما هذا ؟ فقيل لى عبد الله بن امير المؤمنين يركب ، وما ركب قبل ذلك ، وقد امر الجند بالزينة ، وانجفل الناس للنظر ، فخرجت فيمن خرج . فازدحم الناس على بعض الطرق زحمة شديدة ، وكانت دابتى صعبة فسقطت عنها ، وانكسرت ساقى ، وغشينا الناس ومكثت دهرا عليلا ، وهاهو اليوم يقبل رأس كاتبى ، فالحمد لله على نعمته وحسن إدالته

وكان لسَوّار القاضى بالبصرة من قبل أبى جعفر كاتبان ، رزق أحدهما

(1) الخرق من الأرض القفر ، او الأرض الواسعة

أربعون درهما ، ورزق الآخر عشرون درهما ، فكتب إليه سوار يسأله التسوية بينهما ، فنقص صاحب الأربعين عشرة دراهم ، وزادها صاحب العشرين وإنما أراد سوار أن يلحق صاحب العشرين بصاحب الأربعين .

وقعد المنصور يوماً فى الخضراء فبينا هو مشرف على الصَّراة[1] إذ نظر إلى صياد قد ألقى شبكته ، فأخرج سمكة عظيمة ، فقال المنصور لبعض مواليه أخرج إلى المُسَيِّب ، فأمره أن يوكل بالصياد من يدور معه ، فإذا باع السمكة قبض على مشتريها وصار به إلينا ، ففعل المسيب ذلك

فأتى الصياد رجل نصرانى ، فابتاعها منه بثلاثين درهما ، فلما دفع إليه الثمن وأخذ السمكة منه قبض عليه العون

فأتى به المسيب ، فأدخله إلى أبى جعفر ، فقال له من أنت ؟ قال رجل من أهل الذمة ، قال بكم ابتعت هذه السمكة ؟ فقال بثلاثين درهما . قال وكم عيالك ؟ قال ليس لى عيال ، فقال فأنت بأذنك ، تشترى مثل هذه السمكة بثلاثين درهما ! كم عندك من المال ؟ قال ماعندى شىء . قال يامسيب خذه إليك ، فإن أقر بجميع ماعنده وإلا قتلته ، فأقر بعشرة آلاف درهم ، فقال كلا إنها أكثر ، فأقر بثلاثين ألف درهم وأحل دمه إن وقف على أكثر منها ، وقال له من أين جمعت هذا المال ؟ فقال وأنا آمن يا أمير المؤمنين ؟ فقال أنت آمن على نفسك إن صدقت

قال كنت جاراً لأبى أيوب سليمان بن سليمان كاتبك ، فولانى جهبذة[2] بعض نواحى الأهواز ، فأصبت هذا المال

فقال المنصور الله أكبر هذا مالنا اختنته ، وأمر المسيب بحمل المال إلى بيت المال ، وأطلق الرجل

---

١) الصراة نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحوّل بينها وبين بغداد فرسخ ، والخضراء قصر   ٢) الجهبذ الناقد الخبير

وكان أبو دلامة تأخر عن حضور باب أبى جعفر أياما ، ثم حضر فأمر بإلزامه القصر ، وأن لا يبرح منه ويصلى فيه الأولى والعصر معه فى مسجده ، ووكل به لذلك

فمر به [ابو] أيوب الموريانى ، وهو إذ ذاك وزير أبى جعفر ، فقام إليه أبو دلامة ودفع إليه رقعة مختومة ، وقال هذه ظلامة إلى أمير المؤمنين فتوصلها أعزك الله بخاتمها

فأخذها ابو ايوب ، فلما وصل إلى أبى جعفر اوصلها إليه فقرأها فإذا فيها

ألم تر ياهـذا الإمام الذى أنا   بمسجده والقصر مالى وللقصر
أصلى به الأولى مع العصر صاغرا   فويلى من الأولى ، وويلى من العصر
ويحبسنى عن مجلس أستلذه   أُعَلَّلُ فيه بالسماع وبالخمر
ووالله مالى نية فى صلاتكم   ولا البر والاحسان والخير من أمرى
وما ضره ـ والله يصلح حاله ـ   لو أن خطايا العالمين على ظهرى !

فضحك المنصور ، وأمر بإحضاره ، فلما حضر قال هذه قصتك ؟ فقال قد رفعتُ إلى أبى ايوب رقعة مختومة ، اشكر فيها اميرَ المؤمنين ، إذ اعاننى على لزوم المسجد الذى أمر الله بلزومه ، والذى كتبها ابنى دلامة

فقال أبو جعفر فاقرأها ، قال ما أحسن أقرأ ـ وعلم انه انما اراد ان يقر بكتابته لها ، فيضرب به الحد على ذكره شرب الخمر

فلما رآه يحيد قال له ياخبيث ، اما لو اقررت لضربتك الحد ، وقد اعفيتك من لزوم المسجد

فقال له ابو دلامـة او كنتَ ضاربى يا أمير المؤمنين لو اقررت ؟ قال نعم فقال مع قول الله عز وجل (وأنهم يقولون مالا يفعلون) ؟ فضحك منه واعجبه انتزاعه ووصله .

وورد على أبى جعفر من محمد بن عبد الله بن حسن كتاب أغلظ له فيه ،

قال له أبو ايوب دعني أجيبه عنه ، فقال له ياسليمان : ليس ذلك إليك ، إذا نحن تنازعنا عن الأصحاب ، فدعني وإياها .

وكان أبان[1] بن صدقة يكتب لأبي ايوب فسعى به إلى أبي جعفر ، وكان السبب في ذلك أنه كان يلي امر ابي ايوب كله ، فحسده مخلد بن اخي أبي ايوب ، فدفع عليه سعاية إلى أبي جعفر بمائة الف دينار ، فأمر المنصور بأخذه بها ، فأدخل ابان بن صدقة بيتا وطُيِّن عليه بابه ، ثم ندم مخلد على مافعله ، ولامه عمه ابو ايوب لما وقف على ما كان منه

فقال مخلد انا أؤدى عنه عشرة آلاف دينار ، وقال ابو ايوب وانا أؤدى عنه كذا ، وقال مسعود انا أؤدى عنه كذا ، فتوزعها الموريانيون بينهم ، واخرجوا أبانا من الحبس

فخرج وفي نفسه مافيها : فكان يأتي ابا ايوب فيقيم عنده نهاره كله ، فإذا كان الليل انصرف ومعه غلمان أبي ايوب فاذا انصرفوا وعلم انهم قد وصلوا إلى منازلهم خرج حتى يأتي الربيع فيسعى بأبي ايوب ، ويكتب له اخباره وامواله ، فيوصل الربيع ذلك إلى المنصور فيقول المنصور من اين هذا ؟ فيقول من ابان بن صدقة وبلغ ابا ايوب فقال لأبان في ذلك ، فقال كذبوك فقال له قد جاءني اليقين إنك تأتي الربيع كل ليلة ، فإن كان مخلد رفع عليك فقد تخلصتك ، فلماذا تريد قتلي !

فقال إن مخلداً اراد قتلي ، فقال له ابو ايوب فعلتها ! اخرج فلا تقربني ، فقال إي [و] الله[2] ثم لا أعود إليك ! وخرج حتى أتى الربيع وكاشف أبا أيوب .

---

١) المعروف في ضبط ابان تخفيف الباء مع فتح الهمزة ، لكنها رسمت على خلاف ذلك في الأصل بتشديد الباء و كسر النون وليس بصواب

٢) رسمت في الأصل هكذا إني الله لم لا أعود ، ولعل ما فهمته الصواب

وكان عمرو بن عبيد دخل على المنصور ، فوعظه موعظة طويلة مشهورة (١) فبكى المنصور وتوجع ، واستغفر ربه وعرض على عمرو معونته، فأبى، وخرج من حضرته : فلقيه أبو أيوب فقال يا أبا عثمان أظنك قد ردعت هذا الرجل ؟ فقال نعم ، وقد حضضته على أهل الكوفة وأهل البصرة ، فان استطعت أن تعينه بخير فافعل ، وكفى بأمة شرا أن تكون أنت المدبر لأمرها !

ولما ورد على أبي جعفر خبر خلع أهل افريقية اعتزم على الشخوص إلى قِنَّسْرِينَ ليقيم فيها ويوجه الأمداد منها : فكتم تدبيره ، وأظهر أنه يسافر إلى ناحية لم يذكرها ولم يبينها ، وأمر أصحابه بالاستعداد ، ولم يعرفهم القصد

فاجتمع أبو ايوب وعبد الملك والربيع وتذاكروا ذلك ، ورجموا الظنون فلم يصيبوا شيئا ولم يقدموا على مسألته : فقال عبد الملك فأنا أعلم لكم ذلك ، فاذا أذن فتأخروا عني ساعة حتى أكلمه

فلما أذن دخل عبد الملك : فلما استقر به المجلس قال يا أمير المؤمنين قد تهيأنا للمسير ، وفرغنا من كل ما نحتاج إليه ، وبقى علينا ما نستأجر من الظهر ، وما ندرى كيف نتكاراه : ولا على ما نواقف المؤاجرين لنا فيه

فقال له أبو جعفر يا ابن الخبيثه جلست الساعة وفلان وفلان ، فقلتم كذا وجرى بينكم كذا . فقلت لهم كذا ، حتى رد عليه خبر المجلس حدسا منه وفطنة اخرج يا ابن الخبيثة فاكتر مياومة ، كل يوم بألف ، فأما أن اعلمك فلا ولا كرامة

ورخصت الأسعار فى أيام أبي جعفر ، فسولت لأبى أيوب نفسه ، أن يشترى طعام سواد الكوفة وسواد البصرة ، وطمع فى الربح ، ففعل ذلك فكتب المنصور عليه كتابا بذلك ، وخلده الدواوين ، وكان يطالبه بالمال

---

١) هي التي قال فيها المنصور حين خرج عمرو :

كلكم يمشي رويد — كلكم طالب صيد

غير عمرو بن عبيد

وقتا بعد وقت فتحمل منه الشيء بعد الشيء ، وتتابع الرخص عليه ، وأرهقه المنصور بالمطالبة بالمال

وكان المنصور يحب ابنا له يقال له صالح ويرق عليه ، وكان أقطع أولاده جميعاً قطائع خلاه ، وكان يقول ابني هذا المسكين لاشيء له ، فلقب بصالح المسكين ، فقال له أبو أيوب يا أمير المؤمنين قد أصبت لصالح ضيعة تقرب من الأهواز وتشرب من دجلة وتفيض فيها ، وهي بلد واسع ، وقد دثرت رسومها وانطمست أنهارها فإن أقطعته إياها ، وأطلقت له ثلاثمائةألف درهم نستخرجها له فلا يلبث إلا يسيرا حتى تغل جملة وافرة ، فأقطع المنصور صالحا تلك الضيعة وأمر له بالمال

فأخذه أبو أيوب فأدّى صدراً من خسارته في الطعام ، وجاءت السنة فحمل أبو أيوب عشرين ألف درهم إلى أبي جعفر ، وقال هذه غلة الضيعة ، فسر المنصور بذلك ، وأمر أن يتخذ لصالح بيت مال

حدثني عبد الواحد بن محمد ، قال حدثني أبو العيناء قال جاء رجل من أهل الأهواز إلى أبي أيوب وهو وزير ، فقال له إن ضيعتي بالأهواز قد حمل عليَّ فيها العمال ، فإن رأى الوزير أن يعيرني اسمه أجعله عليها ، وأحمل إليه في كل سنة مائة ألف درهم ، فقال قد وهبت لك اسمي فافعل ما بدالك ، وخرج الرجل وحال الحول فأحضر الرجل المالَ ، ودخل على أبي أيوب وهو لا يعرفه فجلس إلى أن خف الناس ، ثم دنا منه وقص عليه قصته ، وأعلمه انه قد انتفع باسمه وانه قد حمل المال . فأمر باحضاره فأدخل ووضع بين يديه ، ونهض الرجل شاكرا داعيا

واندفع أبو ايوب يبكي ، فقال له أهله ومن حضر ما رأينا موضع سرور وفرح ، عقب ببكاء وحزن غير هذا ! فقال لهم ويحكم إن شيئا بلغ هذا من إقباله كيف يكون إدباره ، قال فما بَعُدَ بين الوقت وبين نكبته

ثم سعي لأبي جعفر بالضيعة التي اتخذها لصالح ، وعرّف أن أبا ايوب اخذ المال لنفسه وغرّه من هـذه الناحية ، فعزم أبو جعفر على الخروج بنفسه إلى الناحية ليعاينها

فلما تجهز للشخوص كتب أبو أيوب إلى وكلائه أن يبنوا على دجلة في طريق أبي جعفر قرى من اللبن والقصب ، وأن يغرسوا نخلا وسِدْراً ، وكل ما يتهيأ أن يحسن به ويرى ظاهره ، ليراها أبو جعفر عامرة الظاهر ، فلما فعلوا ذلك ، وشخص أبو جعفر فرأى الموضع ، وقد كان أبو ايوب عند قرية منها أرسل من سَكَر دجيل الأهواز والمَسْرُقان حتى فاضا على الضيعة فغرقاها . ثم غاض إلى دجلة ، فأرسل أبو جعفر من سكر الماء وإعادته إلى جهته ، وأقام اربعين يوما ينتظر جفاف الأرض ، ثم ركب حتى وقف على الضيعة ، وتبين كذب أبي ايوب وانصرف ، ولم يقل شيئا إلى أن عاد إلى بغداد ، فأوقع به

وكان ابو جعفر مدة مقامه بالأهـواز منتظراً لجفاف أرض الضيعة اشتهى سمكا طرياً . فقال له ابو ايوب يا امير المؤمنين انت تعلم أني اهوازي سمكي ، ولنا عجائز يحسنّ صنعة السمك فإن رأيت ان تأذن لى فأهيئه لك ، فأظهر ابو جعفر التقبل لذلك من قوله ، واذن له فى اتخاذه فمضى لذلك

قال الربيع فنهض أبو جعفر عن مجلسه ودعاني ، فقال لى يا ربيع أصبب على الماء حتى اغسل وجهي ، فبينا انا أصب عليه إذا رسل ابى ايوب قد دخلوا عليه بشيء كثير من السلال فيها ضروب من خبز الماء والرقاق وخبز الأرز ، وصنوف السمك قد اتخذ ضروبا من الصنعة الحارة والباردة

فقلت له أنت يا أمير المؤمنين تعلم انى غير مستبطيء لسليمان . وإنه منى لعلى صداقة ومودة ولكن امير المؤمنين آثر عندى من نفسي ، وقد علم سليمان ما يريده امير المؤمنين به ، فهل يأمن امير المؤمنين ان يكون قد دس له فى هذا الطعام شيئا ، فقال لى بارك الله عليك ياربيع ، واحسن جزاك ، إنه ما دخل رأى

مما يأتى من عند سليمان من الألطاف شىء منذ كذا وكذا من الدهر ، فلا يطعمن منك هذا بعد ، ودعا بغير ذلك الطعام ، فأكل منه ، وانصرف إلى بغداد ، وأظهر السخط على أبى ايوب فى سنة ثلاث وخمسين ومائة

فحكى أنه قال له ياخوزى : أكنت آمنا من أن يطلع امير المؤمنين على خيانتك فيكون جزاؤك فى العاجل إراقة دمك واستباحة نعمتك ، وفى الآجل حلول دار الفاسقين ، ومأوى الظالمين الناكثين

فقال يا أمير المؤمنين إن للتهم فلتات ترجع بالندم ، ولك من رسول الله صلى الله عليه عدل السياسة ، وشرف القرابة فأقلنى

قال لا يسعنى مع عظيم جرمك ، وجليل ذنبك إقالتك ، ولا العفو عنك ، لأنك اقترفت الموبق ، وما لا يسع معه عفو

وحبسه وحبس أخاه خالدا وبنى أخيه ، وهم مسعود وسعيد ومخلد ومحمد ، ولم يكن لمحمد حظ من أمرهم ، فقال خالد لبنيه أما أنتم فقد اخذتم بحظ من الدنيا ، وهذا البائس لا ذنب له ، ولم يكن له حظ . فقال له مخلد ، وكان ينظر فى النجوم لابد أن نقتل كلنا ، فان كان محمد ابنك فلا تأمن من قتله ، وان لم يكن ابنك فليس عليه بأس

ثم طولبوا بالأموال وعذبوا وضيق عليه ، فطلب كل من كان لهم عنده شىء فأخذ ، وضغط ابو ايوب بالمطالبة بالمال ، فمات هو وأخوه فى أول سنة أربع وخمسين ومائة

وأمر المنصور بقتل بنى أخيه فقتلوا ، فقال بعض الشعراء أبياتا منها :

فاتق اللهَ وارضَ بالقصد حظا ... وتباعد عن موبقات الذنوب
قد رأيتَ الذى أدالت ونالت ... وقعة الدهر من أبى أيوب

ومما يحكى أيضا أنه عاد بالضرر على أبى أيوب ماذكر أبو العيناء ، قال الناس يكثرون فى سبب قتل ابى ايوب ، والذى عندنا ، أن المنصور لما كان

مستتراً بالأهواز نزل على بعض الدهاقين فاستتر عنده فأكرمه الدهقان بجميع مايقدر عليه ، حتى أخدمه ابنته وكانت فى غاية الجمال ، فقال له ابو جعفر لست استحل استخدامها والخلوة بها ، وهى جارية حرة فزوجنيها ، فزوجه إياها ، فعلقت منه .

واراد ابو جعفر الخروج الى البصرة فودعهم ، ودفع الى الجارية قميصه وخاتمه ، وقال إن ولدت فاحتفظى بولدك ، فمتى سمعت انه قد قام فى الناس رجل يقال له عبد الله بن محمد ، ويكنى ابا جعفر فصيرى إليه بولدك ، وبهذا القميص والخاتم ، فانه يعرف حقك ، ويحسن الصنيعَ إليك ، وفارقهم

فولدت ابناً ، ونشأ الغلام وترعرع ، فكان يلعب مع اترابه ، وملك ابو جعفر فعيّر الغلامَ اترابُه بأنه لايعرف له أب ، فدخل إلى أمه حزيناً كئيبا ، فسألته عن حاله ، فذكر لها ماقال أترابه ، فقالت بلى والله إن لك ابا فوق الناس ! قال ومن هو ؟ قالت القائم بالملك ، قال فهذا أبى وانا على هذا الحال ! هل من شيء يعرفنى به ؟ فأخرجت القميص والخاتم .

وشخص الفتى فصار إلى الربيع فقال له نصيحة ، قال هاتها قال لا اقولها إلا لأمير المؤمنين ، فأعلم المنصور الخبر ، فأدخله إليه فقال هات نصيحتك فقال اخلنى فنحى مَنْ عنده ، وبقى الربيع ، فقال هات ، قال لا إلا أن يتنحى فنحاه ، وقال هات . قال انا ابنك ، قال ماعلامة ذلك ؟ فأخرج القميص والخاتمَ فعرفهما المنصور ، وقال له مامنعك ان تقول هذا ظاهراً ؟ قال خفت ان تجحد فتكون سبة آخر الدهر ، فضمه اليه وقبله ، وقال انت الآن ابنى حقاً .

ودعا الموريانى فقال يكون هذا عندك ، وما كنت تفعله بولد لو كان لى عندك فافعله به ، وتقدم إلى الربيع فى أن يسقط للاذن عنه ، وأمره بالبكور إليه فى كل يوم والرواح إلى ان يظهر امره ، فان له فيه تدبيرا فضمه الموريانى اليه ، واخلى

له منزلا، واوسع له من كل شيء ، فكان يغدو ويروح إلى المنصور وخص به جدا وكان الفتى فى غاية من العقل والكمال ، و كان المنصور يخلو معه ، فيسأله الموريانى عما يجرى بينهما فلا يخبره فيقول له إن امير المؤمنين لا يكتمنى شيئا ، فيقول فما حاجتك إلى هذا عندى إذاً ؟ !

فحسده الموريانى واستوحش منه ، وثقل عليه مكانه فأطعمه سما فمات ، وصار إلى المنصور فأعلمه انه مات فجأة ، ثم ولى، فقال المنصور قتلته ! قتلنى الله إن لم اقتلك به ، فلم يلبث بعده ان فعل به ما فعل .

ولما غضب ابو جعفر على أبى ايوب وحبسه ذكر صالح بن سليمان انه سيقتله وجميع أسبابه لأنه سمعه يتحدث ان ملكا من الملوك كان يساير وزيراً له فضربت دابة الوزير رجل الملك ، فغضب وامر بقطع رجل الوزير فقطعت ، ثم ندم فأمر بمعالجته حتى برأ ثم قال الملك فى نفسه هذا لا يحبنى ابدا وقد قطعت رجله فقتله

ثم قال وأهل هـذا الوزير لايحبوننى أبداً ، وقد قتلته فقتلهم جميعا ، فعلمت أنه سيفعل ذلك فى الموريانى ففعله وما عدا ظنى

والضيعة التى أشاربها الموريانى على أبى جعفر لصالح هى المعروفة بالسيبطية من أعمال البصرة ، وكان أبو جعفر تقدم إلى بعض المهندسين بتصويرها له ، فصورها وعرض الصورة عليه فاستحسنها : فقال له سل حاجتك فقال إنى أجد فى فمى علة ، وقد أضرت بأسنانى ، وحاجتى أن يأذن أمير المؤمنين فى تقبيل يده ، فلعل الله أن يهب لى العافية

فقال له أبو جعفر على أن ذاك إن أذنت لك فيـه عوض من الجائزة ، فأما أن أجمعهما لك فلا ، فقـال له والله لو لم يبق فى فمى حاكة وعلمت أن تقبيل يدك يرد جميعها ، ما آثرته على الجائزة ! فضحك منه ووصله

وكان زياد بن عبيد الله الحارثى يتقلد لأبى جعفر الحرمين ، ثم صرفه بمحمد

ابن خالد بن عبد الله القشيرى ، ثم صرف محمد بن خالد برياح بن عثمان فى سنة أربع وأربعين ومائة

وكان رزام ويكنى أبا بشير مولى خالد بن عبد الله يكتب لمحمد بن خالد فحبس رياح محمدَ بن خالد وحبس رِزاما كاتبه ، فكان يضرب رزاماً فى كل يوم خمسة عشر سوطا ، ويطالبه أن يسعى بصاحبه ، حتى صار جسمه كالقرحة فأحضره يوما ليضربه ، فلم يجد فيه موضعا للضرب ، فضربه على كفه ، فلما بلغ به ما بلغ أحضر رزام ثم كتابا يوهمه أن فيه رفائع على محمد ابن خالد ، فجمع رياح الناس ، فلما اجتمعوا قال لهم : أيها الناس إن الأمير أمرنى أن أدفع على محمد بن خالد ، وقد أحضرت كتابا كل مافيه باطل ، وقد صدقت عما عندى ، فأمر بضربه مائة سوط وحبس ، فلم يزل محبوسا حتى غلب على المدينة محمد بن عبد الله بن حسن ، فقتل رياح بن عثمان ، وأطلق محمد بن خالد ورزاما كاتبه

ولما نكب أبو جعفر أبا أيوب فى سنة ثلاث وخمسين ومائة قلد الخاتَمَ الفضل بن سليمان الطوسى ، وقلد كتابة الرسائل والسر ، أبان بن صدقة ، وقلد ضياعه صاعداً مولاه ، وفى صاعد ومطر مولى أبى جعفر ، يقول أبو الأسد الأعرابى :

وسائل عن حمارىّ كيف حالهما　　سانى فعندى حقيقة الخبر
لا خير فى صاعد فتطلبه　　والخير يأتيك من يدى مطر
وأى خير يأتيك من رجل　　ليس لأنثى يدعى ولا ذكر
ليس له غير نفسه نسب　　كأنه آدم أبو البشر

وقلد ديوان خراج البصرة ونواحيها عمارة بن حمزة ، وقلد ديوان خراج الكوفة وأرضها عمرو بن كيلغ فى سنة خمس وخمسين ومائة ، ثم صرفه عنه وقلده ثابت بن موسى ، وحبس عمرو بن كيلغ ، واستخلف ثابت محمد بن جميل لمصاهرة كانت بينه وبينه ، وأمره بالعرض على المنصور إذا لم يحضر ، نخف على

على قلب المنصور فأقام معه مقام ثابت ، وكان ثابت يقول إذا مر به محمد بن جميل (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) وكان محمد بن جميل فى غاية الحذق والخفة .

وقلد الربيع مولاه نفقاته والعرض عليه ، وهو الربيع بن يونس بن محمد بن أبى فروة ، واسم أبى فروة كيسان مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان . وكان يونس بن محمد شارياً شاطراً بالمدينة ، فعلق أمة لقوم بالمدينة ، فوقع عليها فجاءت بالربيع واستعبد ، ولم يكن ليونس حال فيبتاعه ، فابتاعه زياد بن عبد الله الحارثى خال أبى العباس ، وأهداه إليه فخدمه وخف على قلبه ، ثم خدم أبا جعفر بعده فخص به .

ولما عزم المنصور على تقليد الربيع العرض عليه قال اجلس فى بيتك حتى يأتيك رسولى ، فأقام لذلك ، فصار إليه الرسول بدراعة وطيلسان وشاشية ، فقال له البس هذا واركب بهذا الزى فركب ، فأمر الفراش أن يطرح له مرفقة تحت البساط تقصيراً به عن منزلة المهدى وعيسى بن على لأنه كان يطرح لهما مرفقتين ظاهرتين .

فلما وصل إليه قال له قد وليتك الوزارة والعرض ، ووليت ابنك الفضل الحجابة . فدخل عليه الربيع يوماً والفضل يمشى خلفه . فأخذ الربيع بيده وقال إن الحاجب لا يمشى خلف إنسان ، فقال له المنصور بلى يا ربيع هذا معك أنت وحدك .

وكانت أرزاق الكتاب والعمال فى زمان أبى جعفر للرؤساء ثلاثمائة درهم للرجل ونحو ذلك ، وكذلك كانت فى أيام بنى أمية ، وعلى ذلك جرت إلى أيام المأمون ، فزاد الفضل بن سهل وسع الجارى .

ولما أنفذ المنصور المهدى إلى الرى ضم إليه أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله ابن يسار مولى عبد الله بن عضاه الأشعرى من أهل فلسطين ، وكان عبيد الله ابن يسار أبوه يكتب لصاحب المعونة بالأردن أيام بنى أمية

فروى الزبير عن مبارك الطبرى ، قال سمعت المنصور يقول للمهدى حين أنفذه إلى الرى يا أبا عبد الله لا تُبْرِمْ أمراً حتى تفكر ، فإن فكرة العاقل مرآة تريه حسنه وسيئه

قال وسمعته يقول له يا أبا عبدالله إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه

وقال سمعته يقول يا أبا عبد الله استدم النعمة بالشكر ، والقدرة بالعفو ، والطاعة بالتألف ، والنصر بالتواضع ، ولا تنس مع نصيبك من الدنيا نصيبك من رحمة الله

وروى أن عيسى بن موسى لما أجاب المنصور إلى أن يخلع نفسه من التقدم فى ولاية العهد ، وأن يقدم المهدى على نفسه أمره أبو جعفر أن يخرج إلى الناس فيخاطبهم بذلك . فخرج ومعه أبو عبيد الله كاتب المهدى فدخلا المقصورة فى المسجد الجامع . فقال عيسى إنى قد سلمت ولاية العهد إلى المهدى محمد بن أمير المؤمنين وقدمته على نفسى

فقال عبيد الله ليس هكذا أيها الامير ؟ ولكن قل لحقه وصدقه ، وأخبر بما رغبت فيه وأعطيت

فقال نعم ، قد بعت نصيبى من تقدمى فى ولاية العهد من عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدى أمير المؤمنين بعده بعشرة آلاف ألف درهم وألف ألف درهم لابنى فلان وابنى فلان وابنى فلان ، وفلانة امرأة سماها من نسائه ، بطيب نفسى منى ، ورغبت فى تصيرها إليه ، لانه أولى بالتقدم فيها وأحق وأقوم عليها ، وأقوى على القيام بها منى

وكان ذلك فى سنة ست وأربعين ومائة ، قال فكان بعض المجان من أهل الكوفة إذا مر بهم عيسى بن موسى قالوا هذا الذى كان غداً فكان بعد غد

وكان أبو جعفر لما شخص المهدى إلى الرى أذن لأبى عبيد الله كاتبه فى الانفاق والتصرف فى بيت المال، فأقام فى الرى مع المهدى مدة طويلة ، وأنفق أموالا عظيمة، فلما انصرف المهدى إلى الحضرة طالب المنصور أبا عبيد الله برفع الحساب بما جرى على يده ، فقامت قيامته ، واشتد همه ، فلقيه خالد بن برمك ، وكان صحيح العقل سديد الرأى ، فقال أنت ترشح نفسك لتدبير الخلافة ، وقد حيرك هذا الأمر الصغير ؟ فقال فما الرأى عندك ؟ قال يصير المهدى إلى أبيه وعليه سيفه وسواده ، فاذا مثل بين يديه نزع سيفه فرمى به وقال له ياأمير المؤمنين أنت ترشحنى لهذا الأمر ، وتروى انى المهدى الذى [إلى الأمر] بعدك فى الناس ، ثم تكشف كاتبى عما أجريته على يده ، ونفذه بأمرى وبتوقيعاتى ، فلعلك تنكر شيئا فيقول الناس إنه كشف عن خيانة ، فصار أبو عبيد الله إلى المهدى فطالبه بذلك ، ففعل فأمسك أبو جعفر عنه .

وقال أبو جعفر للمهدى يوما قد عزمت على أن أوليك الأمر وأرده إليك ، فقد كبرت وعجزت عن مباشرة الأعمال والنظر فيها ، وأحببت الراحة والدعة

فخرج المهدى إلى أبى عبيد الله مستبشرا بذلك ، وعرفه ما عرضه عليه أبو جعفر ، فقال له أبو عبيد الله اتق الله ولا تظهر لأمير المؤمنين قبولا لما ذاكرك به ، وإذا عاودك فقل له لا والله لا أتعرض لهذا الأمر ما أبقى الله أمير المؤمنين ، ولا أنهض به ولا أغره من نفسى ، فانه إنما سبرك بما عرض عليك

فلما دخل المهدى على أبى جعفر ، قال له ياابا عبد الله هل فكرت فيما قلته لك أو شاورت احداً فيه ؟ فقال ما بى قوة على ذلك ، ويبقى الله امير المؤمنين ويمتعنا بحياته ، وما احب ان اغر من نفسى

فقال له سبحان الله من صدك عنه ؟ ومن ناظرت فيه ؟ ! وكرر عليه القول ، واعاد المهدى عليه جوابا واحداً ، فقال له فمن شاورت فى هذا الأمر ؟ فقال له شاورت معاوية ، قال فأى شىء قال لك ؟ فعرفه ما قال له .

فطرق هنيهة ثم قال على بمعاويه ، فلما دخل عليه قال له ما هذا الذى ناظرك عليه ابو عبيد الله ؟ وكيف رأيت ان لا يقبل ، قال اصدقك وانا آمن ؟ فقال له هات ، ولم لا تصدقنى ! فقال له إنه والله ما عرضت عليه ماعرضته وانت تريد ان توليه ، وإنما اردت ان تختبر عقله ، وما كنت لتطيب نفسا بترك ما انت فيه

فقال له وكيف توهمت ذلك ؟ قال لأنى سمعتك تقول: إنى لأستيقظ بالليل ، فأدعو بالكتب فأضعها بين يدى ، وأدعو بالجارية فآمرها أن تمرخ ظهرى بالدهن فضل ذلك ، وأنا مقبل على كتبى وتدبيرى ، والنظر فى أمورى ، فعلمت أنك لا تدع شيئاً يكون موقعه منك هذا الموقع ، وتؤثر به غيرك

فقال ما كنت أرى أن أحداً يتفقد ما تفقدته ، وقد أصبت الرأى ، وأحسنت بارك الله عليك

وكان المنصور ضم رجلا يقال له فضيل بن عمران من أهل الكوفة إلى جعفر ابنه ، يكتب له ويقوم بأمره بمنزلة أبى عبيد الله مع المهدى

وكانت لجعفر حاضنة تعرف بأم عبيدة ، فثقل عليها مكان فضيل ، فسعت به إلى أبى جعفر ، وادّعت عنده أنه يلعب بجعفر ، فبعث المنصور بالريان مولاه ، وهارون بن غزوان مولى عثمان بن نهيك إلى فضيل وأمرهما بقتله ، وكتب لهما منشوراً بذلك ، فصارا إليه فقتلاه

وكان الفضيل ديناً عفيفاً ، فقيل للمنصور فى ذلك وإنه أبر الناس مما قرف به ، وأبعدهم منه ، فوجه رسولا وجعل له عشرة آلاف درهم إن أدركه قبل أن يقتل ، فصار إليه فوجده قد قتل ولم يجف دمه

واتصل خبر قتله بجعفر بن أبى جعفر ، فطلب الريان فلما جىء به إليه قال له ويلك ما يقول أمير المؤمنين فى قتل رجل عفيف مسلم بغير جرم ولا خيانة ؟ فقال الريان هو أمير المؤمنين يفعل ما يشاء ، هو أعلم بما صنع

فقال له ياماص بظر أمه ، أكلمك بكلام الخاصة، وتكلمني بكلام العامة ، خذوا برجله فألقوه فى دجلة

قال فأخذوا والله برجلى ، فقلت أكلمك ، فقال دعوه فقلت أبوك إنما يسأل عن فضيل بن عمران وحده ، ومتى يسأل عنه وقد قتل عمه عبد الله بن على ؟ وقتل عبد الله بن حسن ! وقتل غيره من أولاد رسول الله ظلما ! وقتل أهل الدنيا ممن لايحصى ولا يعد ! وهو قبل أن يسأل عن فضيل جوذابة تحت خصى فرعون ! فضحك وقال دعوه إلى لعنة الله فأفلت منه

ولما حج المنصور بعد تقليده المهدى العهد، وتقديمه إياه على عيسى بن موسى، دفع عبد الله عمه إلى عيسى وأمره سرا بقتله

وكان يونس بن [أبى] فروة يكتب لعيسى بن موسى ، فدعا عيسى بيونس وقد كان عزم على قتل عبد الله بن على، فخبره الخبر فقال نشدتك الله أن تفعل ، فإنه يريد أن يقتلك ويقتله ، لأنه أمرك بقتله سراً ، ويجحدك إياه فى العلانية ولكن استره حيث لا يطلع عليه أحد ، فإن طلبه منك علانية دفعته إليه ، وإياك أن ترده سراً أبدا، بعد أن يظهر حصوله فى يدك ، قال ففعل عيسى ذلك

وانصرف أبو جعفر من حجه، وعنده أن عيسى قد أنفذ أمره فى عبد الله ودس على عمومته من يشير عليهم بمسألته فى عبد الله، ففعلوا ذلك ، فدعا بعيسى ابن موسى فسأله عن عبد الله بن على ، فقال له فيما بينه وبينه ألم تأمرنى بقتله؟ فقال معاذ الله ما أمرتك بقتله ، إنما أمرتك أن يكون فى منزلك ، قال قد أمرتنى بقتله ! قال كذبت ثم أقبل على عمومته ، فقال قد أقر بقتله وكذب على ، وادعى أنى أمرته ، فشأنكم به فوثبوا عليه

فلما رأى صورة أمره صدق أبا جعفر عن الحال ، وأحضره إياه فكان عيسى يشكر ليونس بن أبى فروة ذلك مدة عمره

وكان لعيسى بن موسى ابن يقال له العباس من اكابر ولده ، وقد تقلد

الكوفة من قبل عيسى ، وكان يكتب له رجل يقال له معاوية

فذكر علاَّن الوراق السَّعوى أن رجلا من بنى أسد اختدع معاوية رغبة فى جاهه وميراثه حتى انتمى إلى بنى أسد ، فتوفى الأَسدى الذى غرَّه ، فخاف معاوية أن يموت هو فيرثه قوم كانوا نفوه وأنكروا عليه دعوته فيهم ، وكانت لمعاوية جارية صقلية جاءت بابن من غلام له كان يقال له منارة ، فادعى حينئذ منارة أنه منه ، ونسبه إلى نفسه فيما بعد ، وسماه محمدا ثم مات معاوية وانتمى محمد إليه واكتنى بأبى عبد الله ونظر فى النسب ، وكان ينبز بالأُبنة ، ويتهم بالزندقة وقد هجاه قوم من أهل الكوفة هجاءا كثيرا فمن ذلك أن بنى أسد يعرفون بالكوفة بالتطفل ليصح نسبه ، فقال بعض الغنويين

والله لو طفلت يا ابن استها   سبعين عاما لم تكن من أسد

فارحل إلى الجُبة من مصرنا   واطلب أباً فى غير هذا البلد[1]

يعنى بالجُبَّة الجبة والبداة طسوجين من سواد الكوفة

وكان يكتب لعبد الله بن على يوسف بن صبيح مولى بنى عجل من ساكنى سواد الكوفة ، فذكر القاسم بن يوسف بن صبيح أن أباه حدثه أن عبد الله ابن على لما استتر عند أخيه سليمان بالبصرة ، وعلم أنه لاوزر له من أبى جعفر ، قال فلم أستتر وقصدت أصحابنا الكتاب ، فصرت فى ديوان أبى جعفر وأجرى لى فى كل شهر عشرة دراهم ، فبكرت يوما إلى الديوان قبل فتح بابه ، ولم يحضر أحد من الكتاب

فإنى لجالس عليه إذا أنا بخادم لأبى جعفر يتلمح الباب ، فلم ير غيرى فقال لى أجب أمير المؤمنين ، فأسقط فى يدى وخشيت الموت ، فقلت إن أمير المؤمنين لم يردنى ، قال وكيف ؟ فقلت لأنى لست ممن يكتب بين يديه ، فهم بالانصراف عنى ، ثم بدا له فأخذنى وأدخلنى حتى إذا صرت دون الستر ، وكل بى

---

١) فى ياقوت فارحل إلى الجبة عن عصرنا

ودخل ، فلم يلبث أن خرج ، فقال لى أدخل ، فدخلت فلما صرت إلى باب الايوان قال لى الربيع سلم على أمير المؤمنين ،فشممت رائحة الحياة ، فسلمت فأدنانى وأمرنى بالجلوس ثم رمى إلى بربع قرطاس وقال لى اكتب وقارب بين الحروف، وفرج بين السطور واجمع خطك ولا تسرف فى القرطاس ، وكانت معى دواة شامية ، فتوقفت عن إخراجها ، فقال لى كأنى بك يايوسف ، وأنت تقول فى نفسك أنا بالأمس فى ديوان الكوفة أكتب لبنى أمية ثم مع عبد الله بن على وأخرج الساعة دواة شامية! إنك إنما كنت فى ديوان الكوفة تحت يد غيرى و كنت مع عبد الله بن على لى ومعى الدوى الشامية أدب جميل، ومن أدوات الكتاب ونحن أحق بها

قال فأخرجتها فكتبت وهو يملى على ، فلما فرغت من الكتاب أمر به فأترب وأصلح ، قال دعه وكل العنوان إلى ، ثم قال لى كم رزقك يايوسف فى ديواننا؟ فقلت عشرة دراهم ، فقال لى قد زادك أمير المؤمنين عشرة دراهم رعاية لحرمتك بعبد الله بن على ، ومثوبة على طاعتك فى نقاء ساحتك ، وأشهد أنك لو استخفيت باستخفاية لأخرجتك ولو من جحرة النمل ثم زايلت بين أعضائك، قال فدعوت له، ثم خرجت مسرورا بالسلامة

وتوفى عبد الملك بن حميد كاتب أبى جعفر فى آخر سنة أربع وخمسين ومائة

وكان ملك الروم أنفذ إلى أبى جعفر رسولا فورد عليه عند فراغه من الجانبين من مدينة السلام ، وأمر أبو جعفر عمارة بن حمزة أن يركب معه إلى المهدى ، وهو نازل بالرصافة

فلما صار إلى الجسر رأى الرسول من عليه من الزمنى والسؤال ، فقال لترجمانه قل لهذا يعنى عمارة بن حمزة إنى أرى عندكم قوما يسألون ، وقد كان يجب على صاحبك أن يرحم هؤلاء ، ويكفيهم مؤنهم وعيالاتهم ! فقال له عمارة إن الأموال لاتسعهم ومضى إلى المهدى ، وعاد إلى أبى جعفر، فخبره عمارة بذلك فقال أبو جعفر كذبت ليس الأمر على ماذكرت والأموال واسعة، ولكن العذر

ما أنا ذاكره لك فأحضرنيه . فأحضره

فقال له قد بلغني ما قلته لصاحبنا، وما قاله لك، وكذب، لأن الأموال واسعة ولكن أمير المؤمنين يكره أن يستأثر على أحد من رعيته . وأهل سلطانه بشيء من حظ أو فضل ، في دنيا أو آخرة . وأحب أمير المؤمنين أن يشركوه في ثواب السؤال والزمني . وأن يسألوهم من ذوات أيديهم . ومما أعطاهم الله عز وجل من الرزق، ليكون ذلك نجاة لهم في آخرتهم . وتمحيصا لذنوبهم . فقال الرومي الحق ما قاله امير المؤمنين

وكانت نخوة عمارة وتيهه يتواصفان ويُستسرفان ، فأراد أبو جعفر أن يعبث به ، فخرج يوما من عنده ، فأمر بعض الخدم أن يقطع حمائل سيفه ، لينظر أيأخذه أم يتركه ، ففعل ذلك فسقط السيف

فمضى عمارة لوجهه ، ولم يلتفت إليه وكان المثل يضرب بتيهه فيقال «أتيه من عمارة»

وكان عمارة إذا أخطأ يمضي على خطئه ، تكبرا عن الرجوع ويقول له نقض وإبرام في ساعة واحدة ! الخطأ أهون على من هذا ، وله شعر صالح فمن ذلك

لاتشكون دهرا صححت به ... إن الغنى في صحة الجسم

هبك الإمامَ أكنت منتفعا ... بغضارةِ الدُّنيا مع السقم

قال محمد بن يزداد قلد المنصور عمارة بن حمزة الخراج بكور دجلة والأهواز وكور فارس ، وتوفى المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة وعمارة يتقلد ذلك

وقلد المنصور حماداً التركي تعديل السواد وأمره أن ينزل الأنبار ، ولا يدع أحداً من أهل الذمة يكتب لأحد من العمال على أحد من المسلمين إلا قطع يده فأخذ حماد ساهوية الواسطي جدَّ سليمان بن وهب فقطع يده

وأنكر أبو جعفر على محمد بن جميل شيئا فأمر ببطحه ، فقام بحجته وأزال ما ادعى عليه ، فأمر باقامته ثم لحظ سراويله فإذا هو كتان ، فأنكر ذلك إنكاراً

شديدا ، وأمر به فبطح وضربه خمس عشرة (١) دِرَّة وقال هـذا جزاؤك على سوء اختيارك فى لبس مثل هذا السراويل (٢) فلا تعاود ، وكان محمد بن جميل يتقلد ديوان الخراج

ولما قلد أبو جعفر الربيـعَ العرضَ حسن مذهبه ، وآثر الخيرية حتى عرف بذلك ، وكان أبو جعفر إذا أراد بإنسان خيرا أمر بتسليمه إلى الربيـع ، وإذا أراد إنسان شرا أمر بتسليمه إلى المسيب

فكتب العامل بفلسطين يذكر أن بعض أهلها وثب عليه ، واستغوى جماعة منهم . فعاث فى العمل

فكتب إليه المنصور دمك مرتهن إن لم توجه به ، فصمد له العامل وأخذه ووجه به ، فلما مثل بين يديه قال له : أنت المتوثب على عامل أمير المؤمنين ؟ ! لأنثرن من لحمك أكثر مما يبقى على عظمك ! فقال وكان شيخا كبيرا بصوت ضئيل :

أتروض عرسك بعدما هرمت (٣) ومن العناء رياضة الهرم

فقال يا ربيع ما يقول ؟ قال يقول :

العبد عبدكم والمال مالكم فهل عذابك عنى اليوم مصروف !

فقال المنصور يا ربيع ، قد عفوت عنه فخل سبيله ، واحتفظ به وأحسن إليه وهذا الشعر لعبد بنى الحَسحاس ، وكان مولاه اتهمه بابنته فعزم على قتله ، فقال هذا الشعر وأوله :

أمن سُمَيَّةَ دمعُ العين مَذْرُوفُ لو أنَّ ذا منكَ قبلَ اليوم معروف
كأنها حين تبكى ما تكلمنى ظبى بعلياءَ ساجى الطرف مطروف
لا تبك عينك إن الدَّهر ذو غِيَرٍ فيه تفرُّق ذى ألف ومألوف

١) فى الأصل خمسة عشر والصواب ما ذكرناه عربية ٢) هكذا الأصل والصواب هذه السراويل أو هذا السروال ٣) كتب فى أعلاها كبرت

العبد عبدكم ؛ والمال مالكم فهل عذابك عنى اليوم مصروف !

ولما استوزر المنصورُ الربيعَ ، ترك أن يسأله حاجة تخفيفاً ، فقال له المنصور يوما : قد انقبضت عن مسألتى حوائجك حتى أوحشتنى . فقال ما تركت ذاك ، أنى وجدت لها موضعا غيرَ أمير المؤمنين . ولكنى ملت إلى التخفيف

قال فاعرضْ على ماتحب من حوائجك . قال حاجتى يا أمير المؤمنين أن تحب الفضل ابنى . قال ويحك إن المحبة لاتقع ابتداء . وإنما تقع بالأسباب . فقال قد أوجدك الله السبيل إليها . قال وما ذاك ؟ قال تنعم عليه ، فإذا أنعمت عليه أحبك ، فإذا أحبك أحببته

قالَ فقد والله حببته إلىَّ قبل أن يقع من هذا شىء . ولكن كيف اخترت له المحبة من بين سائر الأشياء ؟ قال لأنك إذا أحببته كبر عندك صغيرُ إحسانه ، وصغر عندك كبير إساءته . وكانت حاجته عندك مقضية . وذنوبه عندك مغفورة

وكان أبو جعفر قلد خالد بن برمك الرىَّ وطبرستان ، ودُنباوند (١) فأقام بها سبع سنين ، وكان مقام خالد بطبرستان . وخلف ابنه يحيى بالرى ؛ فلما وجه أبو جعفر المهدى إلى الرى خدمه يحيى وخفَّ على قلبه

وولدت الخيزران هارون بن المهدى فى سنة تسع وأربعين ومائة ؛ وكان الفضل بن يحيى بن خالد قد ولد قبل ذاك بسنة ، فأرضعت الخيزران الفضل ، وأرضعت زبيدة بنت منير أم الفضل هارون ، فتأكدت حرمة يحيى ، واتصل سببه

وذكر الحارث بن أبى أسامة فى كتابه المعروف بكتاب الخلفاء فى أخبار المنصور أن الخبر اتصل به ، أن أحداثا من الكتاب يُزَوِّرون فى ديوان داره ، فأمر بإحضارهم ، وتقدم بتأديبهم ، فقال واحد منهم وهو يضرب

---

١) دنباوند بجهة الرى ، وياقوت يروى فى تسميتها قصة عجيبة لأفريدون والضحاك وطابخه

أطال اللهُ عمركَ فى صلاح وعزٍّ يا أميرَ المؤمنينا
بعفوك أستجير ، فإن يجرنى فإنك عصمة للعالمينا
ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

فأمر بتخليتهم ، ووصل الفتى ، وأحسن إليه

وكان ابو جعفر يتعتب على أبى الجهم بن عطية وزير أبى العباس ، فلما استخلف أبو جعفر دخل أبو الجهم يوماً ، فطاوله حتى عطش ، ثم دعا له بسويق من سويق اللوز ، وقد كان سمه فشربه ، فلما وصل إلى جوفه تمخض جوفه ، وأحس بالموت فوثب مسرعاً ، فقال له المنصور : إلى أين يا أبا الجهم؟ قال إلى حيث بعثتنى ! فلما وصل إلى منزله مات

وكان المنصور قلد عبد الوهاب بن إبراهيم فلسطين ، فعسف بأهلها ، وكان إبراهيم بن أبى عبلة كاتب هشام مقيما بها ، فاستحضره المنصور

فلما وصل إليه قال له ابن أبى عبلة ما وراءك ؟ فقال أمير المؤمنين ، قد قرأت عهود الخلفاء الذين من ولد عبد الملك إليك ، فما سمعت عهدا قط أجمع من عهد قرأه علينا عبد الوهاب منك ، ثم عمد إلى جميع ما أمرته به فاجتنبه ، وما نهيته من شيء فارتكبه !

وكان ابن مجير من أهل فلسطين قد حضر مع ابن أبى عبلة ، ووصل إلى المنصور ، فقال ما وراءك يابن مجير ؟ فأخرج له طائرا من كمه قد نتفه حتى لم يبق عليه ريشة واحدة ، فقال له فارقت البلد يا أمير المؤمنين ، وقد نتفه ابن أخيك حتى تركه كما تركت هذا الطائر ! فأظهر انكارا شديدا وعزله .

وكان يتقلد للمنصور قضاء المدينة محمد بن عمران الطلحى ، ويكتب له نمير الشيبانى المدينى ، فلما قدم المنصور حاجاً استعدى عليه الجمالون ، فدعا محمد بن عمران بنمير كاتبه ، وقال اكتب إلى المنصور فى الحضور معهم أو إنصافهم ، فكتب ثم ختم الكتاب ، وقال له والله لا مضى به غيرك ، فمضى به ودفعه إلى الربيع

واعتذر إليه ، فقال له لا عليك ، ودخل بالكتاب ثم خرج ، فقال للناس أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم قد دعيت إلى مجلس الحكم ، فلا أعلم أحدا يقوم إذا خرجت ، ولا يكلمني

ثم خرج المنصور والمسيب بين يديه ، والربيع ونمير كاتب محمد بن عمران خلفه ، وهو فى مئزر ورداء ، فلم يقم له أحد ، فبدأ بالقبر فسلم عليه ، ثم قال للربيع إني أخشى إذا رآني ابن عمران أن يدخل قلبه هيبة ، فيتحرك عن مجلسه ، وبالله لئن فعل لا وَلِيَ لى ولاية أبدا

ثم صار إلى محمد بن عمران ، فلما رآه ابن عمران ، وكان متكئاً اطلق رداءه على عاتقه ، ثم احتبى ، ودعا بالخصوم ، ثم دعا بالجمالين ، ثم دعا بأمير المؤمنين ، فادّعى القوم وسائلهم له فقضى عليه لهم ، وأمره بإنصافهم

وانصرف أبو جعفر فأمر الربيع باحضار محمد بن عمران ، فلما دخل عليه قال جزاك الله عن دينك وعن نبيك ، وعن حسبك ، وعن خليفتك أحسن الجزاء وأمر له بعشرة آلاف دينار .

ووقف أبو جعفر ، على كثرة القراطيس فى خزائنه فدعا بصالح صاحب المصلى فقال له إني أمرت بإخراج حاصل القراطيس فى خزائننا ، فوجدته شيئا كثيرا جدا ، فتولَّ بيعه ، وإن لم تعط بكل طومار إلا دانقا ، فإن تحصيل ثمنه أصلحُ منه

قال صالح وكان الطومار فى ذلك الوقت بدرهم ، فانصرفت من حضرته على هذا ، فلما كان فى الغد دعاني فدخلت عليه ، فقال لى فكرت فى كتبنا ، وأنها قد جرت فى القراطيس ، وليس يؤمن حادث بمصر ، فتنقطع القراطيس عنا بسببه ، فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم نعوّده عمالنا فدَعِ القراطيسَ استظهارا على حالها

ولهذه العلة كانت الفرس تكتب فى الجلود والرق ، وتقول لا يكتب فى شيء ليس فى بلادنا

قال جعفر بن أحمد النهروانى الكاتب حدثنى محمد بن الفضل الكاتب ، قال حدثنى كاتب كان للمنصور يتقلد النفقات فى أيامه ذهب على اسمه ، قال وقف المنصور يوما من الأيام نهاراً على سرب فى داره فيه قنديل معلق ، وكان الموضع بين المضىء والمظلم ، وكان تعليق القنديل إنما يقع استظهارا ، فأمر بأن يطفأ . وقال لايعاود هذا المصباح إلى هذا الموضع إلا فى وقت الحاجة من الليل أو من آخر النهار

قال فلما رأيت ذلك من تفقده قلت فى نفسى إذا كان يتفقد هذا المقدار التافه فهو لغيره أشد تفقدا ، فنظرت إلى فضول موائده فبعتها ، فاجتمع لى من ذلك مال شهر جملة وافرة صالحة .

ونظرت فى أشياء غير ذلك ففعلت فيها مثل هذا الفعل . فلما كان من رأس الشهر عرضت عليه ما وفرته . فسألنى عن سببه فقلت إن آمنتنى شرحت لك الخبر ، فآمننى فصدقته عن الصورة ، فقال ما الذى كنتم تصنعون بما يفضل من هذه الموائد فى كل يوم ؟ فقلت كان يأكله خدمك وغلمانك وحشمك ، وما فضل بعد ذلك عنهم تصدق به على الفقراء والمساكين ، فقال هذا لم يكن يضيع منه شىء ، فأجر الأمر على ما كان جاريا عليه فيه ، وليس سبيل القنديل سبيل ذلك فى ذلك الموضع الذى كان فيه كان مضيئاً بالنهار ، وكان الزيت يذهب ضياعا ، ولا وجه للتضييع فى شىء وإن قل

وحكى أنه ثقل على كتاب المنصور تفقده الأعمال ، ومراعاته لها ، فقالوا المتطبب : لو زينت له شرب النبيذ حتى يتشاغل غدا لأعظمت المنة عندنا فوعدهم بذلك ، ولم يزل يقول له فى الوقت بعد الوقت لو سخنت يا أمير المؤمنين معدتك لأصلحت جسمك ونفذ طعامك فيقول بماذا ؟ فيقول بشراب العسل

فلما ألح عليه بذلك استدعى شيئا منه ، فشربه فى اليوم الأول فاستطابه فعاد له فى اليوم الثانى ، وازداد منه فخدره ثم عاوده فى اليوم الثالث فأبطأ عن صلاة

الظهر والعصر والعشاء

فلما كان من غد دعا بما عنده من الشراب فهراقه ، ثم قال ما ينبغى لمثلى أن يشرب شيئا يشغله .

أيام المهدى

ولما تقلد المهدى الخلافة قلد أبا عبيد الله وزارته ودواوينه فى سنة تسع وخمسين ومائة

وكان من كتاب أبى عبيد الله ، عبيد الله بن عمران مولى مذحج ويزيد الأحول أبو أحمد بن أبى خالد ومحمد بن سعيد بن عقبة قلده الخراج بمصر وغيرهم

قال أبو الحسن المدائنى وفد عبيد الله بن الحسن الهاشمى على المهدى معزيا عن المنصور ومهنئاً بالخلافة ، فتكلم بكلام كان قد أعده أعجب الناس به واستحسنوه فبلغه ذلك ، فقال لشبيب بن شيبة إنى والله ما ألتفت إلى هؤلاء ، ولكن سل أبا عبيد الله عما تكلمت به ، فسأله شبيب ، فقال له ما أحسن ما تكلم ! ولكنه لم يتعد بكلامه أن أخذ مواعظ الحسن ورسائل غيلان فلقح بينهما كلاما فأخبر شبيب عبيد الله بذلك ، فقال لله أبوه ، فوالله ما أخطأ حرفا . ولا تجاوزت ما قال

قال ابن أبى سعيد الوراق حدثنى محمد بن اسماعيل الجعفرى عن أبيه أن زفر بن عاصم عند تقلده المدينة أوفد إلى المهدى عبد الله بن مصعب الزبيرى وإبراهيم ابن سعد الزهرى وسعيد بن سالم المجاشعى ، فلما وصلوا إلى بابه قصدوا أبا عبيد الله وزيره متوسلين به فى إيصالهم . وذكر أمورهم فتجهمهم . وأبى عليهم وأغلظ القول لهم وجبههم بالردّ . وقال لهم مالكم عندنا شىء

فقال له عبد الله بن مصعب . وكان احدث القوم سنا إذاً والله نكون كما قال خفاف بن يزيد السلمى :

إذا تلعات أرض الخَرْج[1] أمست ... جديبات المَسارح والمُراح
تهادى الريح إذخرهن شهبا ... ونودى فى المجالس بالقداح
وَجدت لجارنا كَرَما ، وكنا ... سوى ظن اللئيم بمستراح
إذا ما أجدبوا حمدوا ، وأبدت ... لنا الضراء عن أدم صحاح

فاتصل خبرهم بالمهدى ، فأنكر على أبى عبيد الله ، ودعاهم فوصلهم وأحسن إليهم فى حوائجهم

وكان أبو عبيد الله يقول انى لأشكر حسن اللحظة ولين اللفظة ، وذكر أن رجلا اعتذر إلى أبى عبيد الله فأطال ، فقال له ما رأيت عذرا هو أشبه باستئناف ذنب من هذا ، وكان أبوعبيد الله يقول : اليأس حر ، والرجاء عبد

وكان أهل الخراج يعذبون بصنوف من العذاب من السباع والزنابير والسنانير وكان محمد بن مسلم خاصا بالمهدى

فلما تقلد الخلافة ووجد أهل الخراج يعذبون شاور محمد بن مسلم فيهم ، فقال له محمد يا أمير المؤمنين هذا موقف له ما بعده ! وهم غرماء المسلمين . فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرماء ، فتقدم إلى أبى عبيد الله بالكتاب إلى جميع العمال برفع العذاب عن أهل الخراج

وفسد ما بين أبى عبيد الله وبين خالد بن برمك بعد شدة التصافى ، فاتصل بخالد ان أبا عبيد الله يقول إنه يتخوفه على سركان أسره إليه ، فركب خالد حتى أتى باب أبى عبيد الله ، فلما رآه غلمانه أعظموا ذلك وتبادروا بين يديه

وخرج إليه أبو عبيد الله وهو متعجب ، فقال له خالد بلغنى عنك كذا وكذا ، وما اتخذت مودتك عدة لعداوتك ، وعلىّ وعلىّ وحلف أيمانا مغلظة أن لو قطعت إربا إربا ما ذكرت ذلك تعريضا ولا تصريحا ، وعلىّ وعلىّ

---

١) الخرج واد بأرض اليمامة فيه قرى لبنى قيس بن ثعلبة فى طريق مكة من البصرة

إن أطلعت من أمرك على شيء من هذه الحال ، فأبقيت عليك ، فلا تظنن بي ضرعا إليك ، ولا رغبة فيما لديك ، وانصرف

فدعا يحيى ابنه فقال له امض إلى أبي عبيد الله ، فقل له كل امرأة لي طالق ، وكل مملوك لي حر ، وكل مال لي صدقة ، إن دخلت لك منزلا ، ولا كلمتك أبدا ، فدفعه يحيى عن ذلك فلم يندفع

فصار يحيى إلى عبيد الله ، فأدى إليه الرسالة ، فشق ذلك عليه ، فقال له فالتقى أنت في حاجاته وحاجاتك ، فكان يحيى يلقاه فيكرمه ويقضي حوائجه

فقال يوما لخالد ما حداك يا سيدي ، ما حداك على ما كان منك في أمر أبي عبيد الله ؟ فقال يابني هذا رجل مسكين من صاحبه ، وقد وقع في نفسه علينا شيء ، ولم آمن أن يرقى إليه شيء عنا لا أصل له فيقبله ويصدقه ، فأردت [أن] أظهر ما بيننا وبينه ، فان ادعى علينا شيئا ، حمله على ماعرفه بيننا

وركب أبو عبيد الله يوما ، فوقف له الناس ، وكان فيمن وقف يحيى بن خالد في جماعة ، منهم مالك بن الهيثم ، ومعاذ بن مسلم ، فلما أطلع أبو عبيد الله رموا بأنفسهم عن دوابهم ، ووقف يحيى على ظهر دابته ، فلما رآه أبو عبيد الله أعرض عنه ، وأقبل بطرفه على عُرْف دابته ، ولم يلتفت إلى يحيى

قال فلما رأيت ذلك حركت إليه حتى لحقته فقلت له ياأبا عبيد الله أبقاك الله ، وقد علمت أنك تذكرت ما كان مني ، وقلّ ما أعطى أحد نفسه هذه الذلة ، فوجدت عنده بعد ذلك خير

وتحدث شريك القاضي عند ابي عبيد الله يوما بحديث في تحليل النبيذ ، قال عافية القاضي ، وكان حاضرا ، ما سمعنا بهذا الحديث ، فقال شريك وما يضر عالما إن جهل جاهل

وذكر أبو سهل الرازي القاضي عن منصور بن أبي مزاحم ، قال كنت عند أبي عبيد الله ، وحسن بن حسن عنده ، وشريك حاضر ، فقال أبو

عبيد الله لشريك حدّثنا فى النبيذ ، فحدثه بحديث همام عن عمر بن الخطاب فيه ،
فقال حسن ما سمعنا هذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق

فقال شريك : أجل شَغَلك عنه جلوسك على الطنافس ، فى صدور
المجالس ، وعرفناه بسعينا[1] فيه ، فاستزاده أبو عبيد الله فقال لا أعرض الحديث الكذب

وذكر عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحى أنه حمل ديناً
فى عسكر المهدى ، قال فركب المهدى يوما بين أبى عبيد الله وعمر بن بزيع
وأنا وراءه فى موكبه على برذون قطوف ، فقال المهدى ماأنسب بيت
قالته العرب ؟ فقال أبو عبيد الله قول امرىء القيس

وما ذَرَفت عيناكِ إلا لتضربى   بسهميك فى أعشار قلبٍ مُقتَّل

فقال المهدى هذا أعرابى قح ، فقال عمر بن بزيع قول كثير :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثل لى ليلى بكل سبيل

فقال المهدى ماهذا بشىء ، وماله أن ينسى ذكرها حتى تمثل له !
فقلت له حاجتك عندى ياأمير المؤمنين ، فقال الحقنى ، فقلت لالحاق بى مع
دابتى ، فقال احملوه على دابة ، فقلت هذا أول الفتح ، وحملت عليها فلحقته ،
فقال ماعندك ؟ فقلت قول الأحوص

إذا قلت إنى مشتف بلقائها   فحُمَّ التلاقى بيننا زادنى سقما

فقال أحسنت والله اقضوا دينه .

وكان فى صحابة المهدى رجل يعرف بالثقفى البصرى ، وكان أبو عبيد الله
له متثقلا ، وكان محبا لأن يضع منه ، فتكلم الثقفى يوما فلحن ، فقال له أبو
عبيد الله أتجالس أمير المؤمنين بالملحون من الكلام ؟ أما كان يجب عليك أن
تقوّم من لسانك ! فقال له الثقفى إنما يحتاج إلى استعمال الإعراب فى جميع
الكلام ياأبا عبيد الله المعلمون ! لينفقوا عند من التمسهم لتعليم ولده ! — يعرض

---

1) فى الاصل بسبعينا فيه

بأبى عبيد الله ، لأنه كان معلما فى اول أمره — فضحك المهدى حتى غطى وجهه

ولما حال الحول على المهدى فى الخلافة تقدم إلى أبى عبيد الله بمناظرة عيسى ابن موسى على أن يخلع نفسه من ولاية العهد ، فناظره وقال له إن المنصور قدّم المهدى عليك وعوضك ، فإن أخرجت نفسك من هذا الأمر عوّضك المهدى ما هو أنفع لك ، وأبقى عليك وإن أبيت استحل منك المحظورَ بمعصيتك وخلافك أمره ، وقد لزمتك طاعته ، ووجب عليك القبول منه

فسارعَ إلى الاجابة إلى خلع نفسه فعوّض عشرة آلاف ألف درهم ، وكتب أبو عبيد الله عن المهدى بذلك و بتقليد الهادى موسى العهدَ إلى الآفاق فقال بعض الشعراء

كره الموت أبو موسى وقد　　كان فى الموت نجاءٌ وكرم
خلعَ الملك واضحى لابسا　　ثوبَ لؤم لا ترى منهُ القدمْ

فلما حج المهدى بعد عقد البيعة لموسى خلفه ببغداد خليفة له ، وضم يزيد ابن منصور خال المهدى مدبّراً لأمره وقلد كتابته ووزارته أبان بن صدقة ، وذلك فى سنة ستين ومائة، وقلد عمر بن بزيع دواوين الأَزِمّة فى سنة اثنتين وستين ومائة ، وقد قيل إن المهدى أول من أحدثها

قال عبد الله بن الربيع سمعت مجاهدا الشاعر يقول : خرج المهدى متنزها ، ومعه عمر بن بزيع ، فانقطعا عن المعسكر فى طلب الصيد ، فأصاب المهدىَّ جوعٌ فقال لعمر بن بزيع ، ويحك هل من شىء ؟ قال ما من شىء ، قال فإنى أرى كوخا وأظنها مبقلة

فقصدا قصدة فإذا نبطىٌّ فى كوخ وإذا مبقلة ، فسلما عليه فردا السلام فقال هل عندك شىء نأكل ؟ قال عندى رَبيثاء وخبز شعير

فقال له المهدى إن كان عندك زيت فقد كمل ، قال نعم ، قال وكراث ؟ قال نعم ، وعندى تمر . وغدا نحو المبقلة ، فجاء ببقل وكراث وبصل ، فأكلا

أكلا كثيرا وشبعا

فقال المهدى لعمر بن بزيع قل فى هـذا شعرا ، وكان يعرف بقرض الشعر فقال :

إن من يطعم الرَّبيثاءَ بالزيـ ـت وخبز الشعير والكرات
لحقيق بصفعة أو بثنتيـ ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدى بئس ما قلت ، ليس هكذا ولكن

لحقيق ببدرة أو بثنتيـ ـن لحسن الصنيع أو بثلاث

ولحق بهما العسكر والخزائن ، فأمر للنبطى بثلاث بدر

وحكى عن عمارة بن حمزة أنه دخل يوما على المهدى فأعظمه ، فلما قام قال له رجال من أهل المدينة من القرشيين ، يا أمير المؤمنين من هـذا الذى أعظمته هذا الإعظام كله ؟ فقال عمارة بن حمزة مولاىَ ، فسمع عمارة كلامه ، فرجع إليه فقال يا أمير المؤمنين جعلتنى كبعض خبازيك وفرّاشيك ! أفلا قلت عمارة ابن حمزة بن ميمون مولى عبد الله بن عباس ليعرف الناس مكانى !

وبلغ موسى بن المهدى حال بنت لعمارة جميلة فراسلها ، فقالت لا بيها ذلك فقال ابعثى إليه فى المصير إليك ، وأعلميه أنك تقدرين على ايصاله إليك فى موضع يخفى أثرهُ

فأرسلت إليه بذلك وحمل موسى على المصير نفسه ، فأدخلته حجرة قد فرشت وأعدت له ، فلما صار إليها دخل عليه عمارة فقال السلام عليك أيها الأمير ، ماذا تصنع هاهنا ؟ اتخذناك ولىَّ عهد فينا أو فحلاً فى نسائنا ! ثم أمر به فبطح فى موضعه ، فضربه عشرين دِرّة خفيفة ، ورده إلى منزله فحقد الهادى عليه ذلك

فلما ولى الخلافة دس إليه رجلا يدّعى عليه أنه غصبه الضيعة المعروفة بالبيضاء بالكوفة ، وكانت قيمتها ألف ألف درهم ، فبينا الهادى ذات يوم قد جلس للمظالم وعمارة بحضرته وثب الرجل فتظلم منه ، فقال الهادى لعمارة ما تقول فيما ادعاه

الرجل : فقال إن كانت الضيعة لى فهى له ، وإن كانت له فهي له ؛ ووثب فانصرف عن المجلس

وهذا شيء يشبه حكاية عن غيلان بن حرشة الضبي أحد أصحاب أبي موسى الأشعرى ، وكان غيلان أسكن رجلا داراً بالبصرة ، ثم أراد إخراجه عنها فنازعه الساكن ، وكانت لغيلان منزلة من أبى موسى ، فإنه يوما لجالس إلى جانبه ، إذ دخل الساكن . فقال أصلح الله الأمير ، إن غيلان أسكننى دارا وهو يريد إخراجى منها . ومن قصتى قصته كيت وكيت ؛ فأقبل أبو موسى على غيلان ، فقال أبينك وبينه منازعة ؟ فقال نعم هذا رجل أسكنته ثم ذهب يقص قصته . فقال له أبو موسى رويدك ، انتقل فاجلس مع خصمك ! فقال له غيلان ماهو إلا هذا . فقال أبو موسى ماهو إلا هذا ، فقال فاشهد أن الدار له

وأحفظه ذلك على أبى موسى ، فشخص حتى قدم المدينة على عثمان فدخل فى يوم قد اجتمعت فيه بنو أمية على مأدبة لهم وعليه عمامته وثياب سفره ، فلما رآه قال له من أنت قال رجل سائر الدار بعيد النسب ، ثم حسر عمامته عن وجهه ، وقال أنا غيلان بن خرشة أيا معشر بنى أمية ، أمافيكم صغير تستنشئونه؟ أمافيكم فقير تنعشونه؟ أما فيكم ضعيف تجبرونه ؟ إلى كم يأكل البصرة حتى هذا الاشعرى ! فوقرت فى قلوب القوم ، وكانت سبب عزل عثمان أبا موسى فعزله

وولى ابن عامر وهو عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس فى سنة تسع وعشرين وهو ابن خمس وعشرين سنة

وقلد المهدى عمارة بن حمزة الخراج بالبصرة فكتب إليه ليسأله أن يضم الأحداث إلى الخراج ، ففعل ذلك وقلده الأحداث مضافة إلى الخراج

وكان عمر أعور ذميما ، وكرهه أهل البصره لتيهه وكبره ، فرفعوا إلى المهدى عليه أنه اختان مالا كثيراً ، فسأله المهدى عن ذلك ، فقال والله ياأمير المؤمنين أن لو كانت هذه الأموال التى يذكرونهاوا بجوار بيتى ما نظرت اليها فقال أشهد

أنك لصادق ولم يراجعه فيها

ودخل على المهدى صالح بن عبد الجليل وكان ناسكا مفوها ، فوعظه وابكاه طويلا ، وذكر سيرة العمرين

فأجابه المهدى بفساد الزمان وتغير أهله ، وما حدث لهم من العادات، وذكر له جماعات من أصحابه ، وما لهم من الاحوال والنعمة وذكر فيهم عمارة بن حمزة ، فقال له قد بلغني أن له ألف دواج بوبر سوى مالا وبر فيه ، وسوى غيرها من الأصناف

وحكى أن المهدى قال لعمارة بن حمزة أبغنى نديما ظريفاً ، فسمى له والبة ابن الحباب وكان شاعرا أديبا ماجنا ويكنى والبة أباأسامة فدعابه المهدى فأنشده يوما :

قولا لعمرو لا تكن ناسيا ... واسقنى الخمرة من كاسيا
واردُدْ على الهيثم مثل الذى ... هِجت به ويحكَ وَسواسيا
وقل لساقينا على خلوة ... أُدن كذا رأسكَ من راسيا
ونمْ على صدرك لى ساعة ... إنى امرؤ انكح جلاسيا !

فقال المهدى اتريد ان تنكحنا لا أُم لك

وأغزى المهدى ابنه هارون الصائفة فى سنة ثلاث وستين ومائة ، وأنفذ معه خالد بن برمك ، وقلد كتابته ونفقاته وتدبير امر عسكره يحيى بن خالد ففتح عليهم وحسن أثر يحيى فيما قام به واحمد فعله فيه وتدبيره إياه

ثم امر المهدى اباعبيد الله بأخذ البيعة بالعهد لهارون بعد موسى واستحلاف الناس عليها ، فحضر دار العامة ابو عبيد الله، ومعه ابوالعباس الطوسى، صاحب الحرس حتى اخذ البيعة على اناس وهم مسارعون إليها ومتباشرون بها ، وكتب إلى جميع الآفاق بذلك

---

١) الدواج كرمان ، وغراب اللحاف الذى يلبس

وعرض الكتاب على المهدى وعرفه الخبر فشكر الله وسر به وقلد المهدى هارونَ المغربَ كله من الأنبار إلى إفريقية ، وأمر كاتبه خالد بتولى ذلك كله وتدبيره ، فقام به

وكان يكتب ليحيي بن خالد اسماعيل بن صبيح ، وكان خالد بن برمك سخيا جليلا سريا نبيلا ، كثير الإحسان

قال الجاحظ حدثنى ثمامة ، قال كان أصحابنا يقولون لم يكن يرى لجليس خالد دار إلا خالد بناها له ، ولا ضيعة إلا وخالد ابتاعها له ، ولا ولد إلا وخالد ابتاع أمه إن كانت أمة ، أو أدى مهرها إن كانت حرة ، ولا دابة إلا وخالد حمله عليها ، إما من نتاجه أو من غير نتاجه

وكان خالد أول من سمى المستميحين ، ومن يقصد العمال لطلب البر الزوّار وكان يسمون قبل ذلك السؤّال

فقال خالد أنا أستقبح لهم هذا الاسم ، وفيهم الأحرار والأشراف ! وفى ذلك يقول بعض زواره :

حذا خالد فى جوده حذوَ برمك   فجود له مستطرَفٌ وأثيل
وكان بنو الإعدام يدْعونَ قبله   بإسم على الإعدام فيه دليل
يسمون بالسؤّال فى كل موطن   وإن كان فيهم نافِهٌ وجليل
فسماهم الزوار سترا عليهم   فأستاره فى المجتدين سدُولُ

وأحب المهدى يوما أن يسمع خبر يوم ابن ضبارة صاحب مروان وهزيمته ، فقيل له أعلم الناس بذلك خالد بن برمك ، لأنه كان شاهداً فأمر بإحضاره ، فلما وصل إليه سأله عن ذلك

فقال له : إنا لما صافَّنا القوم ياأمير المؤمنين خفقت ألويتنا بالنصر ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وهبت ريح الغلبة ، فما كان إلا كلا ولا ، حتى انجلى الأمر لنا بالنصر ، ولله الحمد والشكر - فقال له المهدى أحسنت وأوجزت

وكان المهدى أنفذ خالدا إلى فارس عاملا عليها واستخلف خالد ابنه يحيى فنظر الخراج على أهلها ، ووضع عنهم خراج الشجر ، وكانوا يلزمون له خراجا ثقيلا ، وأكثر خالد الصلات والجوائز والإحسان إلى كافة الناس وخاصتهم ، فشغب الجند عليه ، فضرب عنق قائد منهم يدعى شاكر التركى قربة لفرج خادم المهدى ، فكثر فرج فيه عند المهدى ، ونسبه إلى المعصية فغضب المهدى وحبسه وألزمه مالا جليلا ونجمه عليه فكان يؤدى فى كل يوم جمعة ألف ألف درهم ، وشفعت الخيزران فى أمره بالرضاع ، الذى كان بين هارون ابنها ، وبين الفضل ابن يحيى فرضى عنه ورده إلى منزلته

ولما انصرف هارونُ من الغزاة التى نفذ فيها فى سنة ثلاث وستين ومائة توفى خالد ، فوجه إليه المهدى بكفن وحنوط وصلى عليه هارون

ولم يزل أبو عبيد الله فى خدمة المهدى إلى سنة ثلاث وستين ومائة مستقيم الأمر ، ثم سعى عليه الربيع وحمل المهدىَّ على مكارهه ، فصرفه فى سنة ثلاث [وستين ومائة]

وكان السبب فى ذلك أن الربيع كان يحسن خلافة أبى عبيد الله بحضرة أبى جعفر عند غيبته مع المهدى بالرى ، ويكاتبه بما يحتاج إليه وينبهه على ما يصلحه ويكف عنه من يريد عيبه والقدح فى محله ، أوذكره بخلاف الجميل

فلما انصرف الربيع من الحج بعد موت أبى جعفر ، وقد قام ببيعة المهدى القيامَ المشهور قصد بابه بادئا به قبل المهدى ، فقال له الفضل ياسيدى تترك أمير المؤمنين ، وتترك أهلك ، وتأتى أبا عبيد الله ! فقال يابنى هو صاحب الرجل ، فليس ينبغى أن نعامله كما كنا نعامله ، ولا أن نحاسبه بما كان منا فى أمره من النصرة له والمعاونة

فلما وصل إلى الباب وقف عليه – وقد كان وقت المغرب – إلى وقت عشاء الآخرة ، ثم خرج الحاجب فقال ادخل ، فثنى رجله لينزل ، وثنى الفضل رجله

معه ، فقال الحاجب إنما استأذنت لك وحدك يا أبا الفضل !

فقال له ارجع وأعلمه أن الفضل معى ، ثم أقبل على الفضل ، فقال هذا من ذاك ! ثم خرج الآذن فأذن لهما جميعا ، فدخلا وأبو عبيد الله فى صدر مجلسه على مصلى قد اتكأ على وسادة ، فلم يقم إليه ، ولا استوى جالسا ولا ألقى إليه شيئا يجلس عليه ، وتركه على البساط ، وجعل يسائله عن سفره ومسيره وحاله

والربيع يتوقع أن يسأله عما كان منه فى أمر المهدى وتجديده بيعته ، فأعرض أبو عبيد الله عن ذلك ، فذهب الربيع ليبتدئه بذكره فقال قد بلغنا نبؤكم ، فقام الربيع لينصرف ، فقال أبو عبيد الله لا أرى الدروب إلا وقد أغلقت ، فلو أقمت ! فقال له الربيع لا أرى الدروب تغلق دونى ، فقال بلى قد أغلقت ! وظن الربيع أنه يريد أن يستريح من تعب مسيره ثم يسأله فيما بعد ، فقال فأقيم إذاً ، فقال أبو عبيد الله يا غلام هيىء لأبى الفضل موضعاً فى منزل محمد يعنى ابنه ، فلما رأى أنه يريد به الخروج من داره ، قال فليس يغلق دونى درب ، وقصد منزله منصرفا .

وأقبل على ابنه الفضل ، فقال يابنى أنت أحمق ، قال وما حمقي؟ قال تقول لى كان ينبغى أن لا تجىء ، وإذ جئت وحجبك أن لا تقيم منتظراً ، ولما دخلت فلم يقم إليك أن ترجع ولا تكلمه ، لم يكن الصواب غير ما فعلته كله ، ولكن والله الذى لا إله إلا هو لأُخلقن جاهى ، ولأُنفقن مالى حتى أبلغ مكروه أبى عبيد الله ! ثم جعل يضرب ظهراً لبطن ، ويضطرب يميناً وشمالا فلا يجد مساغا .

ثم ذكر القشيرىَّ وكان أبو عبيد الله أساء به وحجبه ، فاستحضره وقال قد علمت ما ركبك به أبو عبيد الله ، فهل عندك فى أمره حيلة ؟ قال له ليس بجاهل فى صناعته ، وإنه لأحذق الناس ، وما هو بظنين فيما يتقلده ، لأنه أعف الناس ، حتى لو كن بنات المهدى فى حجره لكان لهن موضعاً ، وليس يتهم بانحراف عن هذه الدولة ، لأنه ليس يؤتى من ذلك ، وليس يتهم فى دينه ، لأن عقده عقد

وثيق ، ولكن هذا كله يجتمع للشق ابنه . فقام الربيع فقبل عينه، وما زال يدس إلى المهدى من يخبره خبر عبدالله بن أبى عبيد الله[1]

وكان المهدى قد جدّ فى طلب الزنادقة وغلظ فى أمرهم ، فقُدِم عليه بجماعة منهم فى سنة ست وستين ومائة ، وأحضر معهم وضاح الشَّرَوى ، وعبد الله بن أبى عبيد الله ، وكان أخذه بمكة ، فأدخل على المهدى فقال أزنديق أنت ؟ قال نعم .

وممن يعتقد الزندقة قوم يرون أن جحد مايدينون به محظور ، وأن التَّقِيَّة غير جائزة ، وقد دل هذا الخبر على أن عبدالله بن أبى عبيد الله منهم

فقال له المهدى اقرأ فقرأ « تباركت وعالموك يعظم الخلق » فأشار الربيع على المهدى بمطالبة أبيه بقتله ، فقال المهدى لأبى عبيدالله ، اضرب عنقه ، فتنحى كأنه يريد أن يفعل ذلك فارتعد ، فقال له العباس بن محمد ياأمير المؤمنين : شيخ كبير وله حرمة ، ويكفيك غيره ماأردته منه . وأبوعبيد الله يقول لابنه مابهذا أدبتك ، ولقد علمتك كتاب الله عز وجل !

فأمر المهدى عبدَ الله بن أبى العباس الطوسى وكان يخلف أباه على الحرس بقتله ، فلما تنحى ليقتل صاح ياأمير المؤمنين التوبة ، فتغافل عنه المهدى ، فقال عافية بن يزيد القاضى إنه يعرّض بالتوبة يا أمير المؤمنين .

فأقبل عليه المهدى وقال والله ما الله أردتَ بذلك ! انزعوا عمامته ، وجأُوا فى عنقه ، فمازال يدفع ويوجأ فى عنقه حتى أخرج

وأمضى عبد الله بن أبى العباس ما أمر به من قتله فقتل ، ودفن ولم يستقبل به القبلة .

وأحضر فى جملة من أحضر من الزنادقة ابنٌ لأبى أيوب سليمان بن أيوب المكى ، فأقرّ بالزندقه وتاب ، فقبل المهدى توبته وأمر باطلاقه ، وذلك فى سنة

---

١) فى مروج الذهب : عبد الله بن أبى عبد الله

ست وستين ومائة .

ولما قتل المهدى عبد الله بن أبى عبيد الله قال الربيع لبعض خدم المهدى لك على ثلاثة آلاف[١] دينار إن فعلت شيئاً لا يضرك ، قال له وما هو ؟ قال إذا دخل أبو عبيد الله إلى المهدى ، فصار بحضرته قبضت على سيفه ، ومشيت إلى جانبه فسينكر ذلك عليك أمير المؤمنين ، فتقول يا أمير المؤمنين قتلتَ ابنه بالأمس فكيف آمنه عليك أن يخلو بك ، ومعه سيفه اليومَ ! ففعل ذلك الخادم ، فكان ذلك مما أوحش المهدى من أبى عبيد الله

ومات أبان بن صدقة[٢] فى سنة سبع وستين ومائة ، وهو على رسائل موسى ابن المهدى بجرجان عند نفوذه إلى الرى

وكان المهدى لما أفضت الخلافة إليه أمر بإطلاق من فى السجون فأطلق منهم يعقوب بن داود بن طهمان ، وكان يعقوب كاتب إبراهيم بن عبد الله بن حسن ابن حسن ، وكان المنصور حبسه فى المُطْبَق[٣]

وكان داود بن طَهمان واخوته كتابا لنصر بن سيار ، ولما مات داود نشأ ولده على ويعقوب أهلَ أدب وفهم وافتنان فى صنوف العلوم ، وكان على بن داود كتب لإبراهيم بن عبد الله بن حسن وصَحبه يعقوب بن داود ، ولم يزالا معه إلى أن قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فظُفر بيعقوب بن داود فحبسه أبو جعفر فى المطبق فى سنة أربع وأربعين ومائة ، وكان الحسن بن إبراهيم بن عبد الله معه فى المطبق

فسعى به يعقوب إلى المهدى ، وذكر أنه قد عمل سَرَباً[٤] يهرب فيه ، فبعث

---

١) فى ألف وقد اعتاد الناسخ ذلك وقد أصلحناها عدة مرات دون أن نشير إلى الأصل فيها ٢) فى الأصل : ومات صدقة بن أبان وهو سبق قلم

٣) المطبق سجن فى جوف الأرض ٤) السرب بالتحريك الحفرة تحت الأرض

المهدى فوجد السرب فنقله إلى نُصير الوصيف ، فاحتيل له فى الهرب فهرب من يده لأن جماعة من الزيدية احتالت فى هربه ، وصاروا به إلى مدينة الرسول فتقدم المهدى إلى يعقوب بطلبه فضمن له ذلك

واستأذنه فى رفع النصائح إليه فأذن له ، فداخله بذلك السبب ، وتثاقل أبو عبيد الله وأدل

وتمالأ يعقوب والربيع على أبى عبيد الله ، فجعلت حال يعقوب تزيد ، وحال أبى عبيد الله تنقص ، إلى أن سمى المهدىُّ يعقوبَ أخاً فى الله ووزيراً ، وأخرج بذلك توقيعات تثبت فى الدواوين . ففى ذلك يقول سَلْمُ الخاسر :

قل للإمام الذى جاءت خلافته تُهدَى إليه بحق غيرِ مردودِ
نعم المعينُ على التقوى اعنت به أخوكَ فى الله يعقوبُ بن داودِ

وحج المهدى سنة ستين ومائة ، ويعقوب بن داود معه ، فأخذ منه أمانا للحسن ابن عبد الله بن حسن ، وأحضره إياه ، فأحسن إليه المهدى ، ووصله بمال ، وأقطعه مالا من الصوافى[1] بالحجاز ، وأحمد فعل يعقوب فى ذلك

وشُكى إلى المهدى فى حجته هذه بعضُ عماله ، وسئل عزله فلم يفعل ، فلما صار ببعض الطريق ورد عليه خبر وفاته ، فقال يايعقوب عزله من هو أقوى على عزله منا

ثم صرف المهدى أبا عبيدالله عن وزارته سنة ثلاث وستين ومائة ، واقتصر به على ديوان الرسائل ، وكان يصل إليه على رسمه ، وغلب على أمره كله ووزارته يعقوب بن داود [السلمى][2]

وجدَّ المهدى فى طلب الزنادقة ، وقلد عمر الكلواذانى طلبهم ، فظفر بجماعة منهم ، وظفر فيهم بيزيد بن الفيض كاتب المنصور ، فأقر بالزندقة ، فحبس

١) فى اللسان الصوافى واحدها صافية وهى ضياع السلطان خاصة أو الأرض التى مات أهلها وارث لهم أو جلوا عنها ٢) الزيادة عن المسعودى فى المروج

وهرب من الحبس ، فلم يُقدر عليه

ثم عزل المهدى أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل فى سنة سبع وستين ومائة ، وقلده الربيعَ فاستخلف الربيعُ عليه سعيدَ بن واقد

وكان أبو عبيد الله يصل إلى المهدى على مرتبته رعاية لحرمته . ومن حَسن كلام أبى عبيد الله مارواه عمرو بن بحر الجاحظ :

التماس السلامة بالسكوت ، أولى من التماس الحظ بالكلام . وقمع نخوة الشرف ، أشد من قمع بطر الغنى . والصبر على حقوق النعمة ، أصعب من الصبر على ألم الحاجة . وذل الفقر ، قاهر لعز الصبر . كما أن عز الغنى مانعَ من الإنصاف ، إلا لمن كان فى غريزته فضل كرم ، وفى أعراقه مناسبة لعلو الهمة

وتفرد يعقوب بتدبير الأمور كلها ، وتوفى عمر بن داود أخو يعقوب ، وكان سبب ذلك أنه خرج متنزها ومعه جماعة من أهله وأقاربه ، ومعه سفرة وفواكه ، فقدّمت إليه سلة فيها عنب ، فأخذ منها حبتين فألقاهما فى فيه ، فاعترضتا فى حلقه فلم ينزلا ولم يصعدا ، حتى مات فرثاه ابن أخيه داود بن على بن داود

غدا صحيحاً مع الأحياء مغتبطا والآن ميتاً بقربى أهله عمر
فاحتلّ قبراً لدى قبر أبوه به يعلوهما نضد الأحجار والمدر
فما بقاؤك يا داود بعدهما فاحذر حذار امرىء قدشفه الذعر
وراقب الله ، واعلم أن طاعته هى النجاة إذا ماحوسب البشر

فذكر عبد الله بن يعقوب بن داود أن سفيان بن عيينة صار إليهم معزياً ، فكانت تعزيته أن أنشد بيتا لعمران بن حطان :

كيفَ أعزيكَ والأحداث مقبلة فيها لكلّ امرىء من نفسه شغلُ !

وكان عبد الله بن يعقوب بن داود أحدَ الأدباء والشعراء وله ابنان يقولان الشعر ، يقال لأحدهما : محمد ، والآخر عبيد الله ، فمن قول محمد بن عبد الله ابن يعقوب :

وزعَ المشيبُ شراستي وعرامي(١) ومرى(٢) الشؤونَ بمسبلٍ سجّام

ولقد حرصتُ بأن أواري شخصه عن مقلتيَّ فرمتُ صعبَ مرام

وصبغتُ ما صبغَ الزمانُ فلم يدم صبغي ودامت صبغةُ الأيام

لا يبعدنَّ شبيبةٌ خلّةٌ فارقتها في سالف الأيام

ما كان ما استمتعتُ من أيامها إلا كبعض طوارق الأحلام

ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن يعقوب :

ما أصبر حرًّا يضيق عنه صبره وإن كان قد ضاقت عليه مذاهبه

فإن القوام القرَّ يخلف حقله وإن الحسام العضب تنبو مضاربه

وذكر خالد بن يزيد بن وهب بن جرير أن أباه حدثه أن بشار بن برد هجا صالح بن داود أخا يعقوب ، حين ولي فقال :

همُ حملوا فوق المنابر صالحا أخاك فضجت من أخيك المنابر !

فبلغ يعقوب بن داود هجاؤه ، فدخل على المهدي فقال له يا أمير المؤمنين إن هذا الأعمى المشرك قد هجا أمير المؤمنين ، قال : وما قال ؟ فقال يعفني أمير المؤمنين من انشاد ذلك ، فأبى عليه ، وراجعه ، ولم يزل به إلى أن أنشده :

خليفة يزني بعماته يلعب بالدبوق والصولجان(٣)

أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حِر الخيزران(٤)

فقال له : وجِّه في حمله ، فخاف يعقوب أن يقدم على المهدي فيمدحه فيعفو عنه فوجه إليه من ألقاه في البطائح(٥) وقيل لم يغرق في البطائح ، ولكن قتله في طريقه

---

١) العرام الشدة والبأس والقوة ٢) المرى مسح ضرع الناقة ليدر لبنها

٣) يلعب بالدبوق والصولجان ، كناية عن الأبنة ، والدبوق والدبوقاء كل ما تلطخ من لعاب أو غيره ٤) كتبت في هامش الأصل بخط جديد : موسى وهرون ابنا المهدي من الخيزران ٥) البطائح جمع البطيحة وهي مجتمع ماء السيل الواسع وبذلك سميت بطائح واسط وهي أرض واسعة بين

ولما استقام أمرُ يعقوب أرسل إلى الزيدية جميعا ، فأُتى بهم من كل ناحية فولاهم أمور الخلافة فى الشرق والغرب ، وكان هذا مما عتب به عليه

وكان أبو عبيدالله يضبط أمور المهدى ، ويشير عليه بالاقتصاد ، وحفظ الاموال وكان أبو جعفر خلف فى بيوت الأَموال عند وفاته تسعمائة ألف ألف درهم وستين ألف ألف درهم ؛ فلما صرف المهدى أبا عبيد الله عن وزارته وقلدها يعقوب ، زيَّن له هواه ، فأَنفق المال ، وأكب على اللذات والشُّرب ، وسماع الغناء ، ففى ذلك يقول بشار :

بنى أمية هبوا طال نومكم　　إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فاطلبوا　　خليفةَ الله بين الزِّقِّ والعود

وذكر المفضل العمرى ان المهدى حج فى بعض السنين فمر بميل[1] وعليه مكتوب ، فوقف فقرأه ، وإذا هو :

« لله درك يا مهدى من رجل　　لولا اتخاذك يعقوب بن داود ! »

فقال لمن معه اكتب تحته « على رغم أنف الكاتب ، هذا وتعسا لجده » فلما انصرف وقف على الميل ، فقلنا إنه لم يقف عليه إلا لشيء قد علق بقلبه من ذلك الشعر ، وكان كذلك لأَنه أوقع بيعقوب بعد قليل

وكثرت الأَقوال فى يعقوب ، ووجد أعداؤه مقالا فيه ، فقالوا وذكروا للمهدى خروجه على المنصور مع إبراهيم بن الحسن ، وعرَّفه بعض خدمه أنه سمع يعقوب وهو يقول : بنى هذا الرجل متنزها أنفق عليه خمسين ألف ألف درهم من أموال المسلمين ، وكان القائل لهذا القول أحمد بن اسماعيل صهر يعقوب بن داود ، وكان المهدى بنى عيساباذ[2]

واسط والبصرة وكانت قديما قرى متصلة وأرضا عامرة

١) الميل : منار يبنى فى الطريق يهتدى به السفار　٢) فى ياقوت إن الخمسين ألف ألف درهم كانت نفقة قصر المهدى المسمى قصر السلام بناه المهدى

وأراد المهدى أمرا ، فقال له يعقوب هذا يا أمير المؤمنين السرف ! فقال ويلك ! وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف ! ويلك يا يعقوب ! لولا الاسراف لم يعرف المقتر من المكثر !

قال محمد بن عبد الله النوفلى ، قال لى أبى قال لى يعقوب كان المهدى لا يشرب النبيذ إلا [1] تحرجا ، ولكنه كان لا يشتهيه ، وكان أصحابه عمر بن بزيع والمعلى مولاه ومواليه يشربون عنده بحيث يراهم

قال وكنت أعظه فى سقيهم النبيذ وفى السماع ، وكان يقول هذا عبد الله بن جعفر قال ، قلت : ليس هذا من حسناته ، لو أن رجلا سمع كل يوم هل كان ذلك يزيده قربة من الله عز وجل أو بعداً !

وكان يعقوب قد ضجر بموضعه ، وتاب إلى الله مما هو فيه ، واستقال وقدم النية فى ترك موضعه

فكان يقول : والله يا أمير المؤمنين لشربة خمر أشربها أتوب إلى الله منها أحب إلى مما أنا فيه ، وانى لأركب إليك فأتمنى يداً خاطئة تصيبنى فى طريق ، فأعفنى وولِّ من شئت ، فانى أحب أن أسلم عليك انا وولدى

ووالله إنى لأتقرَّع [2] فى الليل ، منذ وليتنى امر المسلمين ، وليس دنياك بعوض من آخرتى ، قال فكان المهدى يقول له : اللهم غفراً ، اللهم أصلح قلبه .

ثم أراد المهدى أن يمتحنه فى ميله إلى العلوية ، فدعا به يوما وهو فى مجلس فُرشه موردة ، وعليه ثياب موردة ، وعلى رأسه جارية عليها ثياب موردة ، وهو مشرف على بستان فيه شجر قد ورَّد صنوف الأوراد [3]

بعيسا باذ وليست نفقة بناء المدينة ولا المتنزه .

١) الصواب لا تحرجا لأنه لم يشربه . والجهشيارى يقول هنا إن علة تركه النبيذ هى عدم الاشتهاء لا أنه حرام ٢) يقال تقرع وانقرع إذا انقلب ولم ينم

٣) الأوراد جمع ورد وهو النور من كل شجرة

فقال له يايعقوب كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قال على غاية الحسن ، فمتع الله أمير المؤمنين به ، وهنأه إياه ، فقال له : جميع مافيه لك وهذه الجارية لك ليتم سرورك وقد أمرت لك بمائة ألف درهم ففرقها فى بعض شأنك ، فدعا [له يعقوب] بما يجب

وقال له [المهدى] لى إليك حاجة ، فقام [يعقوب] قائما ، وقال يا أمير المؤمنين ما هذا القول إلا لموجدة ، وأنا استعيذ بالله من سخطك ، فقال له : أحب أن تضمن لى قضاءها فقال السمع والطاعة !

فقال له والله ! فقال والله ثلاثا ! فقال له ضع يدك على رأسى واحلف به، ففعل ذلك ، فلما استوثق منه ، قال له هذا فلان بن فلان رجل من العلوية أحب أن تكفينى مؤونته ، وتريحنى منه ، فخذه إليك ، فحوّله إليه

وحمل الجارية وما كان فى المجلس والمال ، فلشدة سروره بالجارية . جعلها فى مجلس تقرب منه ، ليصل إليها

ووجه فأحضر العلوى فوجده لبيباً فهماً ، فقال له : ويحك يايعقوب تلقى الله بدمى وانا رجل من ولد فاطمة رضى الله عنها بنت محمد صلى الله عليه ! فقال له يعقوب ياهذا ، أفيك خير ؟ قال إن فعلت بى خيراً شكرت ، ودعوت لك واستغفرت ، فقال له : خذ هذا المال . وخذ اى طريق شئت. فقال له طريق كذا وكذا آمن لى . فقال له امض مصاحبا ، وسمعت الجارية الكلام كله فوجهت إلى المهدى مع بعض خدمه به

فوجه المهدى فشحن الطريق(١) حتى ظفر بالعلوى . و بالمال ثم وجه الى يعقوب فأحضره ، فلما رآه قال له ماحال الرجل ؟ قال قد أراحك الله منه قال مات ! قال نعم قال والله ! قال والله ، قال فضع يدك على رأسى ! فوضع يده على رأسه وحلف له به، فقال ياغلام أخرج الينا من فى هذا البيت ففتح بابه عن العلوى والمال بعينه ، فبقى يعقوب متحيرا ، وامتنع الكلام عليه ، فما درى ما يقول

١) شحن الطريق ملأه بالرجال والأعوان

فقال له المهدى لقد حل لى دمك ، ولو آثرت إراقته لأرقته ، ولكن احبسوه فى المطبق فحبسه فى مطبق اتخذه له ، وأمر بأن يطوى خبره عنه وعن كل أحد فأقام فيه من أيام المهدى سنتين وشهوراً ، وجميع أيام الهادى ، وخمس سنين وشهرين من أيام الرشيد

ثم ذكر يحيى بن خالد الرشيد بأمره ، وشفع إليه فيه ، فأمره باخراجه ، فأخرج وقد ذهب بصره ، فأحسن إليه الرشيد ورد إليه ماله ، واختار المقام بمكة فأذن له فى ذلك ، فأقام بها حتى مات فى سنة سبع وثمانين ومائة

وليعقوب بن داود شعر صالح ، ومنه ماقاله عند مقامه بمكة ، أنشده جرير ابن [احمد بن] أبى دُوَاد [1] ، قال أنشدنى سعيد بن يعقوب :

طلق الدنيا ثلاثا واطلب زوجاً سواها
إنها زوجة سوء لاتبالى من أتاها

وأنشد له أيضا :

قليل الهم لا ولد يموت ولا مال تحاذره يفوت
رخى البال ليس له عيال سليم من رزيت ومن بليت
قضى وطر الصبي وأفاد علما فهمته التفكر والسكوت
وأكثر همه من يمشى عليها إذا فتشتهم خلق وقوت

وحكى أن المهدى قال ليعقوب ، وقد دخل إليه : يايعقوب ، قال لبيك ياأمير المؤمنين تلبية مكروب بغضبك ، فقال : ألم أرفع من ذكرك وأنت خامل ! وأعلى من قدرك وأنت غافل ! وألبسك من نعم الله ما لم أجد لك بحمله يدين من الشكر ! فكيف رأيت الله أظهر عليك ورد كيدك إليك ! فقال يا أمير المؤمنين إن كان ذلك بعلمك فتصديق معترف ومذنب ، وإن كان مما كسبته نمائم الباغين فعائذ بفضلك !

---

1) فى الاصل داود والزيادة والتصحيح عن ياقوت

فقال والله لألبسنك من الموت قيصا لا يخلق الدهر جديده ، ياغلام المطبق، فولى وهو يقول : المودة رحم ، والوفاء كرم ، وأنت بهما جدير

قال ميمون بن هارون أخبرني أبو الحسن عمرو بن خلف الباهلي : أن يعقوب ابن داود لما أُطلق، سأل عن جماعة من إخوانه وأصحابه ، فخبر بوفاتهم ، فقال :

لكل أناس مقبر بفنائهم ... فهم ينقصون والقبور تزيد
فما إن تزال دار حي قد اُخلقت ... وقبر لميت بالفناء جديد
هم جيرة الأحياء، أما محلهم ... فدان ، وأما الملتقى فبعيد

وكان المهدي وهب لابن يعقوب بن داود جارية ، فدخل عليه في غد اليوم الذي حوّلت فيه إليه ، فقال كيف الجارية يافلان ؟ فقال ماوضعت بين الأرض وبيني أوطأ منها، حاشا سامع![1] فاقبل المهدي على أبيه، فقال : تُراه أيّنا يعني ؟ فقال له يعقوب يا أمير المؤمنين : الأحمق يُحفظ من كل شيء، إلا من نفسه

وأمر المهدي بعزل أصحاب يعقوب جميعاً من الأعمال في الشرق والغرب ، وأن يحبس جميع أهل بيته وأقاربه ، فقال أبو الشيص

أبلغ إمامَ الهدى أزلت مصطنعا ... للنائبات كيعقوبَ بن داود
أمسى يقيك بنفس قد حباك بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود
نصبت للناس يعقوبا فقومهم ... كما الثِّقاف مقيم كلَّ تأويد
لو تبتغي مثلهُ في الناس كلهم ... طلبتَ ماليس في الدنيا بموجود

وقال أبو حنش حصين بن قيس ، وكان يصحب يعقوب ويخدمه :

يعقوب لاتبعد وجنبت الرَّدى ... فلأبكين زمانك الرطب الثرى
وأرى رجالا ينهشونك بعد ما ... أغنيتهم من فاقة كل الغنى
لو أن خيركَ كان شراً كله ... عند الذين عدَوْا عليك لما عدا

---

١) اى لم يفترش خيرا منها حاشا من يسمع كلامى وهو الخليفة وابوه ، كأنهما اوطأ من الجارية !

واستوزر المهدى بعد يعقوب بن داود الفيضَ بن أبى صالح ، واسم أبى صالح شيرَوَيه ، وكان سخياً سرياً ، كثير الأفضال واسع الحال ، وكان متكبرا متجبراً مترفعا

فحكى أنه دخل على الرشيد فمدَّ يده ليقبلها ! فلم ينكبّ عليها ، ورفعها إلى فيه فقبلها ، فقال الرشيد . لولا لؤمه وحمقه لقتلته ! وفيه يقول بعض الشعراء

صيرتُ ودَّك إذ ظفرت به   بينى وبين نوائب الدهر

وذكر يعقوب بن إسحاق الكندى أنه سمع يحيى بن خالد ، وذكر الفيض ابن أبى صالح ، فقال : كان يعلم الناس الكرم .

وكان يحيى يهضم نفسه إذا استكثر شيء يكون منه من الجود ، ويقول : فكيف لو رأيتم الفيض بن أبى صالح !

وقال [1] أبو الأسد التميمى ، واسمه نباتة من بنى حمان [2] يمدح الفيض بن أبى صالح :

ولائمة لامتك يافيض فى الندى   فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر
أرادت لتثنى الفيض عن عادة الندى   ومن ذا الذى يثنى السحاب عن القطر!
مواقع جود الفيض فى كل بلدة   مواقع ماء المزن فى البلد القفر
كأنَّ وفود الفيض حين تحملوا   إلى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

وحدثنا ولد على بن الحسين عنه : أن الفيض بن أبى صالح ، وأحمد بن الجنيد ، وجماعة من الكتاب والعمال ، خرجو من دار الخليفة ، منصرفين إلى منازلهم فى يوم وحل ، فتقدم الفيض ، وتلاه أحمد بن الجنيد ، فنضح دابة الفيض على ثياب أحمد بن الجنيد من الوحل

فقال أحمد للفيض : هذه والله مسايرة بغيضة ، ولا أدرى بأىّ حق وجب لك التقدم علينا ! فلم يجبه الفيض عن ذلك بشىء ، ووجه إليه عند مصيره إلى

١) فى الاصل فقال   ٢) فى الاصل حماد والصواب ما فى شرح القاموس

إلى منزله بمائة تخت ، فى كل تخت قميص وسراويل ومبطنة وطيلسان وعمامة أو شاشية ، وقال لرسوله قل له : وجب لنا التقدم عليك أنّ لنا مثل هذا ، نوجه به إليك ، عوضا مما أفسدناه من ثيابك ، فان كان لك مثله ، فلك التقدم علينا ، وإلا فنحن أحق بالتقدم منك

وحدثنا ولد على بن الحسين عنه : أن داود كاتب أم جعفر حبس وكيلا لها وجب عليه من حساب رفعه عن ضياع تقلدها من ضياعها مائتا ألف درهم

فكتب الوكيل إلى عيسى بن داود وسهل بن الصباح المدائنى ، وكانا صديقين له يسألهما مسألة (١) داود فى أمره ، فركبا إليه ، فلقيهما الفيض فى طريقهما ، فسألهما عن مقصدهما فخبراه به ، فقال أتحبان أن أساعدكما ؟ فقالا نعم ، فصار معهما إلى داود ، فكلموه ، فكتب إلى أم جعفر بخبرهم ، وما قصدوا له ، فوقعت فى الرقعة إنه لا سبيل إلى إطلاقه إلا بأداء المال ، فأقرأهم داود الرقعة ، واعتذر اليهم ، فعزم عيسى على القيام ، فقال له الفيض بن أبى صالح : كأنا إنما جئنا لنؤكد حبس الرجل ! لا والله ، ولكنا نؤدى المال عنه ! ثم أخذ الدواة وكتب إلى وكيله ، فى حمل المال عن الرجل ، كتابا دفعه إلى داود كاتب أم جعفر ، وقال له : قد أزحنا علتك فى المال ، فادفع إلينا صاحبنا ، فكتب إلى أم جعفر بالخبر ، فوقعت : أنا أولى بهذه المكرمة من الفيض ، فاردد عليه كتابه ، وادفع إليه الرجل ، وأمره ألا يعاود إلى مثل ما كان منه ، ولم يكن الفيض يعرف الرجل ، وإنما ساعد عيسى وسهلا .

ووجدت بخط ميمون بن هارون : أن الفيض بن أبى صالح أولى رجلا عُرفا فشكر ، ثم كتب إليه الرجل يسأله حاجة ، فوقع على رقعته : أنت طالب مغنم ، وأنا دافع مغرم ، فان تشكر مامضى ، فستعذر فيما بقى !

وقلد المهدى على بن يقطين الأزمة على عمر بن بزيع ، وتضعضعت حال عمر

١) فى الأصل يسألهما مسألة أبى داود .

ابن بزيع ، وذلك فى سنة ثمان وستين ومائة ، فصار علىٌّ زِماما على الازمة ، وأحسب أن من ذكر أن المهدى أول من أحدث الأَزِمة انما أراد أزِمة على الأزمة .

وكان [على بن] يقطين من وجوه الدعاة ، وكان أبو الوزير عمر بن مطرف يتقلد للمهدى ديوانَ الخراج ، فاتصل بالمهدى أن أبا الوزير احتجم فى يوم الخميس فى ديوانه ، فأمر أن يجعل يومُ الخميس للكتاب يستريحون فيه ، وينظرون فى أمورهم ولا يحضرون الدواوين ، ويوم الجمعة للصلاة والعبادة ، فلم يزل الأمر جاريا على ذلك ، إلى أن كتب الفضلُ بن مروان للمعتصم ، فأزال ذلك الرسم ، وأخذَ الكتاب بالحضور يوم الخميس .

ايام موسى الهادى

وكانت وفاة المهدى ، والهادى مقيم بجُرجان ، وهارون مع المهدى فى عسكره ، فأنفذ هارون نصيراً مولاه على دوابّ البريد إلى الهادى بالخبر ، وأنفذ معه القضيب والبردة والخاتم ، وقَفل إلى العراق ، وقد كان الربيع قام بأمر البيعة ببغداد ، إلى أن ورد موسى الهادى على دوابّ البريد ، ولا يعلم خليفةٌ ركب دوابّ البريد غيره ، فورد معه من كتَّابه عبيد الله بن زياد بن أبى ليلى ومحمد بن جُميل ، وقلد الربيعَ وزارته وتدبيرَ أموره ، وما كان عمر بن بزيع يتولاه ، [من] دواوين الأَزِمَّة

وقلد محمد بن جميل ديوان خراج العراقين ، وولى عبيد الله بن زياد بن أبى ليلى ديوان خراج الشأم وما يليها ، وولى عمر بن بزيع ديوان الرسائل .

وقلد على بن عيسى بن ماهان ديوانَ الجند ، إلى ما كان يتولاه من حجابته ، ثم صرف الربيعَ عن الوزارة ، وقلدها إبراهيمَ بن ذكوان الحرّانى الأعور ، وأقرّ الربيع على ديوان الأَزِمّة ، فلم يزل عليها إلى أن توفى فى سنة تسع وستين

ومائة ، وكانت وفاته وسنّه ثمان وخمسون سنة ، وصلى عليه الرشيد وهو وليّ عهد ، وقلد موسى ديوان الأزمَّة ابراهيم بن ذكوانَ الحرانى أيضا .

وكان إبراهيم خاصا بالمهدىّ ، فلما أنفذ المهدىُّ موسى إلى جرجان ، أنفذ معه إبراهيم الحرانى ، فخصّ بموسى ، ولطفَ موْقعه منه ، واتصل بالمهدى عنه أشياء ، يزيد فيها عليه أعداؤه ويكثرون ، فكتب إلى موسى فى حمله إليه ، فضنّ به ، ودافع عنه ، وتعلل فى حمْله ، فكتب : إن لم تحمله خلعتك من العهد ، وأسقطت منزلتك ، ونلتك بكل ماتكره ، فلم يجد موسى بُداً من حمله ، فحمله مع بعض خدمه مكرّماً مرفهاً ، وقال له : إذا دنوتَ من محل المهدىّ فقيِّده ، واحمله فى مَحمل بغير وطاء ، وأدخله إليه بهذه الصورة ، فامتثل الخادم ما أمره به فى ذلك .

واتفق أن ورد العسكر والمهدى يريد الركوب ، وهو إذذاك بالرّذوالراق[1] ، فبصر بالموكب ، فسأل عنه ، فقيل : خادم موسى ومعه إبراهيم الحرّانى ، ، فقال : وما حاجتنا إلى الصيد ، وهل صيد أطيب من صيد إبراهيم ! علىَّ به

قال ابراهيم فأُدنيت منه وهو على ظهر فرسه ، فقال : إبراهيم والله لأقتلنك ، ثم والله لأَقتلنك ! ثم والله لأقتلنك امضِ به يا خادم إلى المضرب إلى أن أنصرف ، فصار بى إلى المِضرب ، وقد يئست من نفسى ، ففزعت إلى الله جل وعزّ والدعاء والصلاة . وانصرف المهدى ، فأكل من اللوْزينج المسموم ، المشهور خبره ، فمات من وقته ، ويقال من الكمثرى ، وتخلصت .

وقلد إبراهيمُ الحرانىّ إسماعيلَ بن صُبيح ديوانَ زمام الشأم وما يليها ، بشفاعة يحيى بن خالد إليه ، لأن إسماعيل كان كاتبه : فأحب أن يضعه بموضع

---

١) فى ياقوت : الرذقرية بماسبذان قرب البندنيجين ، بها قبر امير المؤمنين المهدى بن منصور ، وفى التنبيه والاشراف (ص ٢٩٦) إخراجنا : وتوفى (أى المهدى) بالرذوالراق بأرض ماسبذان من الجبال

يستعلم منه ما يريد ؛ فرفع إلى موسى الخبرُ أن يحيى شفع إلى إبراهيم الحرانى ، حتى استكتب إسماعيل ، فهو ينقل الأخبار ، فيؤديها إلى هارون

وكان إسماعيل بن صبيح يكتب قبل يحيى لأبى عبيد الله ، وعرف يحيى الخبر فبادر بالمشورة على إسماعيل بالخروج إلى حرّان ، فخرج إليها ، واستخلف إبراهيمُ يحيى بن سليمان على جميع الأزمة ، فلما خاطبه موسى بسببه ، أعلمه أنه بحرّان .

وتوفى عبيد الله[1] بن زياد بن أبى ليلى فى سنة تسع وستين ومائة ، فقلد عمله محمد بن جميل إلى ما كان يتقلده ، وأمر موسى يحيى بن خالد أن يقوم بأمر هارون أخيه ، وأقره على كتابته ، وعلى تدبير الأعمال التى كانت إليه .

وكان ليقطين بن موسى كاتبٌ من أهل النهروان ، يعرف بأزداقفاذار[2] ويكنى أبا خالد .

فحكى الجاحظ فى كتاب (البيان والتبيين) أن لُكنة أزداقفاذار[3] كانت لكنة نبطية قبيحة ، وأنه أملّ على كاتب له « والهاصل ألف كر » فكتبها الكاتب بالهاء على لفظه ، فأنكر ذلك ، فلم يفهم عنه الكاتب ، فلما رأى اجتماعهما على الجهل . قال له : أنت لاتهسن تكتب ، وأنا لا أهسن أملى ، فاكتب : الجاصل ألف كر ، فكتبها بالجيم معجمة .

وحكى أن الهادى سخط على بعض كتابه ، ولم يسمَّ لنا الكاتب ، فجعل يقرعه بذنوبه ، ويتهدده ويتوعده ، فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين ، إن اعتذارى فيما تقرعنى به ردٌّ عليك ، وإقرارى بما بلغك يوجب ذنبا علىَّ لم أجنه ، ولكنى أقول :

١) فى الاصل عبد الله وقد ذكره فيما سبق عبيد الله

٢) فى الاصل يزداقفاذ

٣) فى الاصل أزداقفاذ وفى البيان والتبيين ازدانقاذار

فإن كنت ترجو فى العفو بقراحة[1] فلا تزهدن عند المعافاة فى الأجر

فصفح عنه وأحسن إليه .

ثم تنكر موسى لهارون الرشيد ، وعمل على خلعه وتقليد ابنه جعفر بن موسى ، وهو طفل ، فعزم هارون على إجابته ، فمنعه يحيى بن خالد ، فبذل له موسى الهنىّ والمرىّ[2] من أعمال الرقّة ، فقال هارون ليحيى : اذا نزلت على الهنىّ والمرىّ وخلوت بابنة عمى - يعنى أمّ جعفر - وكان يجدُ بها وجداً شديداً ، فما أريد شيئا ، فقال يحيى : إنها الخلافة ! ولعلّ ماتقدّر أنه يبقي لك لايبقي ، ولم يزل به حتى ثبته . فدعا موسى يوما بيحيى فلما دخل عليه أكرمه ، ورفق به ، فقال له : أنت الذى يقول فيك القائل :

لو يمسّ البخيلُ راحة يحيى لسخت كفه ببذل النوال

فقال له : تلك راحتك يا أمير المؤمنين ، وقبل يده ورجله ، فأمر له بإقطاع ووصله بعشرين ألف دينار ، ثم ناظره فى خلع هارون ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك إن حملت الناس على نكث الأيمان ، هانت عليهم أيمانهم ، وجرّأتهم على حلّ العقود التى تعقد عليهم ، ولو تركت الأمر فى بيعة أخيك بحاله ، وبويع لجعفر من بعده ، كان ذلك أوكد لبيعته ، فقال له : صدقت ونصحت . وأنا أنظر فى هذا ، ثم صرفه . ثم لم تطب نفسه ، فدعا بيحيى فحبسه فتلطف فى أن يدعو به ويُخليه ، ففعل ذلك ، فلما خلا به قال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن كان ما نعوذ بالله منه قبل بلوغ جعفر ، وقد خلعت هارون ، هل تتم

---

١) فى الاصل رحمة ، وهو خطأ والتصحيح عن مزوج الذهب

٢) الهنى والمرى نهران بازاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبدالملك واحدث فيهما واسط الرقة قال ياقوت ، ثم ان تلك الضيعة أعنى الهنى والمرى انتقلت الى أم جعفر فزادت فى عمارتها ، قال جرير :

أوتيت من جذب الفرات جوارياً منها الهنى وسايح فى قرقرى

الخلافة لمن لم يبلغ الحلم ؟ قال : لا ، قال فدع هذا الأمر حتى يبلغ جعفر ، فإذا بلّغنا الله ذلك ، فعليّ أن آخذ بيد هارون حتى يبايعه عفوا ، والله والله يا أمير المؤمنين ، فإنك إن فعلت هذا ، وحدث ما نعوذ [بالله] منه ، وثب على هذا الأمر أكابر أهلك ، وخرج الأمر عن ولد أبيك ! ووالله لو لم يعقد المهدى لهارون ، لوجب أن تعقد له ، ليكون فى بنى أبيك ! فشكر منه هذا القول ، وأطلقه .

وأصيب إبراهيم الحرانى بابن له ، فجزع عليه ، فعزاه موسى الهادى عنه ، فقال له : سرّك وهو بلية وفتنة ، وحزنك وهو ثواب ورحمة .

ورأى رجل من الموالى فى أيام الهادى - ويحيى بن خالد على غاية من الخوف والوجل منه بسبب هارون - ليحيى رؤيا سارة ، فشاور أباه فى تعريفه إياها ، فأشار عليه أن لا يفعل ، فعصى أباه ، وقصد يحيى ، فاستأذن عليه ، فقص الرؤيا ، قال : فلما فرغت من الرؤيا ، قال : يابنى ، ما أحسنَ بالرجل أن يلتمس الرزق من أحسن الوجوه ! وأقبح به أن يلتمس الرزق بهذا وما أشبهه ! قال : فخرجت من عنده وقد سقط وجهى ، فأتيت أبى فأعلمته الخبر ، فقال لى : بعداً وسحقاً ! نصحت لك فلم تقبل . قال : وأقبلت أنا وأبى نشتمه ونسبه ، فلم يمض إلا مديدة يسيرة ، حتى أفضى الامر إلى الرشيد ، وبلغ يحيى ما بلغ . قال : فبينا أنا واقف يوما مر بى موكبه ، فبصر بى . فوجه فأحضرنى ، فدخلت إليه وهو على كرسى لم ينزع ثياب ركوبه . فقال لى : أين غبت عنا ؟ فقلت له : أصلحك الله . ما لقيت منك ما يدعو إلى إتيانك ! فقال : ويحك ! إنك أتيتنا ونحن فى حال نتخوف الجدران أن تسىء بنا . والاخوانَ فيها أن يحتالوا علينا . فلم يكن الرأى إلا ما أجبناك به . وما فارقتنا العناية بك . والإيجاب لحقك . ثم أمر له بعشرة آلاف درهم . وكتب إلى سليمان بن راشد . وكان عامله بأرمينية . فأمر له ببغال وخلع . قال : فصرت أنا وأبى وجميع أهلى ندعوا له ، بدلا مما كنا نشتمه . وقصدت سليمان بن راشد وقد قدّم اليه يحيىُ الخبر ، فتلقانى بقائد من قوّاده

فى جماعة من الجند . فلما وصلت إليه ، وجه إلى ببغال ودواب وتخوت ثياب ، ثم غدوت إلى سليمان ، فقال : قد كتب إلى أبو على أعزه الله بحالك عنده ، وها هنا بشرى . وبشرى[1] من أجل أعمالنا . فإن شئت أن تخرج إليها فاخرج ، وإن شئت فها هنا من يبذل عنها خمسمائة ألف درهم . قال : قلت تعجل ما يبذل ها هنا أحب إلى ، وخرجت من عنده ، فلم ألبث إلى أن وجه إلى من وفانى المال ، ووهب لى سليمان من ماله خمسين ألف درهم ، فقبضت المال ، وانصرفت إلى حضرة يحيى ، فوجهت إليه ببعض تلك الطرف ، فأبى أن يقبلها وتبسم فى وجهى ، وقال : إنا لم نوجهك لننتفع بك ، وإنما وجهناك لننفعك ، وقد وفر الله عليك مالك ، وسيتصل معروفنا عندك ، فلزمناه . قال : فلزمته ، فلم تفرق الأيام بيننا حتى كسبت به عشرين ألف ألف درهم .

وذكر ابن دأب ، وكان خاصا بموسى : أنه دخل عليه يوما ، وهو على فراش ، قال : فجلس وعليه قميص ، محلولة أزراره ، محمرة عيناه ، فعلمت أنه كان أحيا ليلته ، فسلمت ، فرد السلام ، وأمرنى بالجلوس ، ثم قال : هل تروى فى النبيذ شيئا ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، كان إخوة من بنى كنانة يشربون الخمر من الشأم ، وينتجعونها ويجتمعون عليها ، فمات أحدهم فدفنوه ، فكانوا يجتمعون حول قبره ويشربون ، ويصبون على قبره قدحه ، فقال واحد منهم :

لا تصرد هامة من شربها ... [و] اسقه الخمر وإن كان قبر[2]
أسق أوصالا وهاما وصدى ... ناشغا ينبغ مثل المنهمر[3]
كان حيا فهوى فيمن هوى ... كل عود ذو فنون ينكسر[4]

---

١) فى معجم البلدان لياقوت : بشرى بوزن حبلى اسم قرية

٢) فى الأغانى ج ١٤ ص ٤٢ هامة من شربها ، والواو فى واسقه زيادة عنه

٣) هذا البيت لم يرد فى الأغانى ورواه الطبرى فاشغا يقشع مثل المبتكر

٤) فى الأغانى كان حرا . . . . كل عود ذى شعوب ينكسر

قال : أحسنت ، وأمر لى بثلاثين ألف دينار ، ووقع إلى إبرهيم بن ذكوان الحرانى ، فصرت إلى ابراهيم ، فأوصلت إليه التوقيع ، فأكثر التعجب ، فقلت : مايعجبك من هذا ؟ أتضع أمير المؤمنين أن يصل بمثلها ؟ قال : لا . قلت أفتضعنى عن أن أستحق مثلها ؟ قال : لا ، فهل لك فى عشرة آلاف دينار . فقلت : ولِمَ أنقصت ؟ هل غبنته فأنقصت الربح ؟ لا ، والله ما آخذ إلا ما أمر لى به ، وتراجعنا الكلام ببعض الغلظة ، فخرقت التوقيع وقلت : والله لا ذكرت ذلك حتى بذكره ، فو الله ما ذكره ، ولا أحدث شيئا ، ومات ، فذهب المال منى .

وذكر مخارق عن إبراهيم الموصلى : أنه كان مع الهادى يوما ، وهو يتصيد ، وانقطع الوتر ، فاغتمّ لذلك ، وتطير منه ، وضجر ، فنزل عمر بن بزيع ، وكان إذ ذاك يكتب له ، فوقف بين يديه ، ثم قبل الأرض ، وحمد الله ، فقال له موسى : أىّ موقف حمد هذا ؟ فقال له : الحمد لله على أن كانت العين بالقوس ولم تكن بأمير المؤمنين ، فسرّى عنه ، وحسن موقع ما كان من عمر ، ووصله

وكان الهادى يشتهى سماع قصيدة ابن قيس الرقيات التى أولها :

عادله من كثيرةَ الطربُ   فعينه بالدموع تنسكب

ويستحسن رويها ، ويحب أن يمدح بمثلها ، فقال عمر بن بزيع لسلم الخاسر ذلك ، وأمره أن يقول فى نحوها شيئا يمدحه به ، ويصفه فيه ، فقال سلم :

يممت موسى الأمام مرتغبا   أرجو نداه والخير مطّلَب

فرْعَ قريش عزاً ومكرمة   وأعظم الناس حين ينتسب[1]

لولا هداكم وفضل أوّلكم   لم تدر ما أصلُ دينها العرب

فعرضها عمر بن بزيع على الهادى ، فاستحسنها ، ووصله بثلاثمائة ألف درهم ، وقال : إنما وفرت صلته للبيت الأَخير .

وكان المهدى وهب للرشيد خاتماً نفيساً ، له قيمة جليلة ، فلما استخلف

---

١) فى الأصل فرعي والصواب ما ذكرناه

موسى ، وانحرف عن هارون ؛ لامتناعه من خلع نفسه ، طلب الخاتم منه ، فمنعه عنه ، فأحضر يحيى بن خالد ، فقال له : إن لم يحضرني الخاتم قتلتك ، وكان فظاً قاسياً غير مأمون على وفاء بوعد ، فصار إلى هارون وهو فى قصره بالخلد ، وأشار عليه أن يدفع الخاتم إليه ، وتلطف له ، ورفق به ، فأقام على الامتناع ، وألح يحيى ، وعرّفه ماتوعده به ، فقال له : فأنا أصير به إليه ، وركب من الخلد يريد عيساباذ ، وموسى مقيم بها ، فلما صار إلى الجسر ، وتوسط دجلة ، رمى الخاتم فيها ، وانصرف ، فقال : يفعل الآن مايشاء ، فبلغ ذلك موسى ، فاغتاظ عليه ، وعلم أنه لا ذنب ليحيى ، وأنه قد اجتهد وناصح ، فلم يطمع هارون ، ولم يعرض له .

ولما توفى موسى واستخلف هارون ، ركب وفى يده خاتم لاقدر له ، فلما صار إلى الموضع الذى رمى بذلك الخاتم فيه ، رمى بالخاتم الذى كان معه ، ووقف مكانه . وأمر بإحضار الغاصة . فلم يزالوا يطلبون حتى وجد الخاتم الأول سليما وكان يتختم به . وتفاءل بوجوده ، وكان أحب خواتيمه إليه ، وكان أكثر ما يلبس منها هو .

ثم حرّك موسى ، واجتمع إليه جماعة من القواد ، منهم المعروف بأبى هريرة القائد ، واسمه محمد بن فروخ ، ومنهم يزيد بن مزيد ، وعبد الله بن مالك ، وعلىّ بن يقطين ، فطالبوا بأن يخلع هارون ، ويبايع جعفرا ابنه ، تقربا إليه ، ورغبة فيما يصل إليهم من الإعطاء . وكان يحيى يعلله ويدافعه .

واعتل موسى علته التى مات فيها ، فدعا يحيى ليلة من الليالى ، وقال له : قد أفسدت علىّ أخى والله لأقتلنك ! فقال إبراهيم بن ذكوان الحرانى : يا أمير المؤمنين ، ليحيى عندى أياد ، أحب أن أكافئه عليها ، فأحب أن تهبه لى الليلة ، فقال : وما الدرك فى هذا . وأنا على قتله ! قال فتهبه لى الليلة وتحبيه فيها . وأنت فى غد أعلم ، فأجابه إلى ذلك وأمر بحبسه . قال يحيى : فحبست وقد أيقنت

بالموت، ويئست من نفسى ، فأنا مفكر فى ليلتى ، وما يجيئنى الغمض، حتى سمعت صوت القفل ، فقدرت أن الحرانى لما انصرف ، دعانى موسى ليقتلنى ، فاذا بخادم يقول لى : السيدة تريدك . فأتيت الخيزران ، فقالت لى : إن هذا الرجل قد مات ، ونحن نساء ، فادخل فأصلح من أمره ، فدخلت ، فإذا بأمة العزيز تبكى عند رأسه وهو ميت ، فغمضته ، وانطلقت إلى الخلد أريد الرشيد ، فلما وصلت إلى داره وجدته نائما ، وتلقانى خادم ، فقال لى : ولدت مراجل غلاما ، فأتيت الرشيد فأنبهته ، فسر بى(١) لما رآنى ، وقال لى ما الخبر ؟ فقلت له : لتهنك الخلافة ، وغلام من مراجل ، وكان عبد الله المأمون . وكانت ليلة مات فيها خليفة ، وولى خليفة ، وولد خليفة ، وذلك فى سنة سبعين ومائة .

ودعا يحيى بيوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب ، فأمره أن يكتب بالخبر إلى الآفاق ففعل ذلك

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : قال لى الهادى يوما : غننى جنسا من الغناء أطرب له : ولك حكمك . فغناه :

وإنى لتعرونى لذكراك فترة(٢) كما انتفض العصفور بلله القطر

قال : أحسنت والله ، وضرب بيده إلى جيب دراعته فحطه ذراعا ، وقال له : زدنى ، فغناه :

فياحبها زدنى جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

فضرب بيده إلى جيب دراعته ، فحطها ذراعا آخر ، وقال : والله زدنى، فغناه :

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فقال : أحسنت والله . وحط جميع دراعته ، وقال لى حكمك ! لله أبوك وأمك . فما تريد ؟ فقلت له : أريد عين مروان بالمدينة ، فدارت عيناه فى

---

١) فى الأصل فسر لى ولعل ما أثبته هو الصواب

٢) البيت لأبى صخر الهذلى والرواية المشهورة لذكراك هزة